هشام فهمي
المُتَرجِمُ
الكتاب الأول
دَارْ دَوِّنْ

صفحة كتب
الرجاء شراء الكتاب من المكتبات
دعما للكاتب ولكي لا تضيع مجهوداته سدى
مع تحيات فريق صفحة كتب
www.facebook.com/the.Boooks

المُتَرجِمْ

الطبعة الأولى: يناير 2014

رقم الإيداع: 2014/2783

الترقيم الدولي: 978-977-6426-48-1

تصحيح لغوي: أحمد يحيى

تصميم الغلاف: أحمد مراد

موديل الغلاف: هشام فهمي

جَميع حُقوق الطَّبع والنَّشر محفُوظة

© دار دَوِّنْ

تليفون: 01020220053

E-mail: info@dardawen.com

www.dardawen.com

المُتَرجِمْ

الكتاب الأول

هشام فهمي

إهداء

إلى أمي.. التي من أجلها ترجمتُ للمرَّة الأولى في حياتي،
فكان أن عثرتُ على شَغَفي الحقيقي أخيرًا..

إلى تامر فتحي، وعمرو عز الدين، وأحمد يحيى، ويوسف محيي الدين..

وإلى أسمى الهجرسي..

شكرًا على كلِّ شيء.

وإهداء خاص إلى خالِدِ الذِّكر؛ برايان كرانستون.

مقدِّمة

كثيراً ما صدَّعت رؤوس أصدقاءٍ كثيرين -المهتم منهم وغير المهتم- بالكلام عن ثلاثيَّة (سيِّد الخواتم) والأفلام المأخوذة عنها، والحقيقة أني لا أعتقد أني سأتخلِّى عن تلك العادة أبداً، طالما أنا مدين لمعرفتي التي جاءت بالصُّدفة المحضة بهذه الثلاثيَّة بما أنا عليه اليوم، ليس فقط لأني سبق لي أني نلتُ شَرَف أن أترجِم إلى العربيَّة جزءًا من أساطير تولكين التي ألهبت خيال الملايين طوال ما يقرب من قرنٍ كامل من الزمن، بل لأن هذا العالم كان أول تجربة لي مع الترجمة على الإطلاق، عندما أردتُ ذات يومٍ أن تُشاركني أمي -التي كانت عاشقةً للسينما، رحمها الله- الاستمتاع بالسَّهَر ومشاهدة ثلاثيَّة الأفلام معي (للمرَّة الأولى لها والعاشرة مثلاً لي).

ولأني أردتها أن تستمتع بهذا العالم المعقَّد المتشابك بحق وتفهم تفاصيله قدر الإمكان، قرَّرت أن أترجم لها الأفلام بنفسي بدلاً من مجرَّد تحميل الترجمة التي لم أثق بسلامتها.

وقد كان.

من هنا كانت بدايتي في الترجمة، ما أعتبره توفيقًا قدريًّا لا

شكَّ فيه أن أمارس مهنة هي في الوقت نفسه شَغَفي الحقيقي وهوايتي التي أمارسها عن حُب.

على هذه الصفحات ستجد مجموعة منتقاة من النُّصوص القصيرة التي قمت بترجمتها لمختلف الكُتَّاب، ولاقت ردَّ فعلٍ إيجابيًّا والحمد لله، فرأيت أن أحاول أن تنتشر أكثر وتبلغ عددًا أكبر من محبِّي قراءة الأعمال المترجَمة، فأتمنَّى أنها تستحق الاقتناء.

هشام فهمي

تعليمات

نيل جايمان

تعليمات إرشاديَّة لما ينبغي عليك فعله إذا وجدت نفسك في حكاية خرافيَّة

المسي بوابة السُّور الخشبيَّة التي لم تريها من قبل قَط
وقولي «من فضلك» قبل أن تفتحي المزلاج
اعبري إلى الداخل
واقطعي الممر
ثمَّة شيطان معدني أحمر مُعلَّق كالمطرقةِ من الباب الأمامي
المطلي بالأخضر
لا تلمسيه، وإلا سيقضم أصابعكِ
سيري داخل البيت
ولا تأخذي شيئًا، ولا تأكلي شيئًا
لكن...

إذا قال لكِ أحد الكائنات إنه جائع، فأطعميه
إذا قال لكِ إنه متسخ، فنظِّفيه
وإذا قال لكِ باكيًا إنه يتألَّم، فخفِّفي -إن استطعتِ- عنه الألم.

من الحديقة الخلفيَّة ستلوح لكِ الغابة البرِّية
والبئر العميقة التي تمرِّين بها تقود إلى مملكةِ الشتاء
في قاعها هناك أرضٌ أخرى
إذا التفتِّ إلى الوراء الآن سيمكنكِ أن تعودي أدراجكِ في أمان
لن تخسري ماء وجهكِ، لن يقل تقديري لكِ شيئًا.

بمجرَّد عبور الحديقة ستجدين نفسكِ في الغابة
هناك الأشجار عتيقة، وثمَّة عيون تُحدِّق من بين الجذوع
وتحت شجرة بلوط ملتوية تجلس امرأةٌ عجوز
قد تطلب منكِ شيئًا، فامنحيها إياه
سوف تدلُّكِ على الطريق إلى القلعة، وهناك ستجدين الأميرات الثلاث
لا تثقي بصغراهنَّ، بل واصلي السير

في الأرضِ الخاويةِ وراء القلعة تجتمع شهور السنة الاثنا
عشر في حلقةٍ حول نار، تُدفئ أقدامها، تتبادل الحكايات
قد تُسدي لكِ الشهور صنيعًا إذا تحلَّيتِ بالأدب
وقد يمكنكِ قطف الفراولة من صقيع ديسمبر.

ثقي بالذئاب، لكن لا تُخبريها بوجهتكِ
يمكنكِ عبور النهر بالمعدِّية، وسيصحبك السائق
(هذه هي إجابة سؤاله:
إذا ناوَل المجداف للمسافر، سيكون حُرًّا ويترك القارب؛
لكن عليكِ أن تُخبريه بها من على مسافةٍ آمنة).

إذا أعطاكِ النسر ريشةً، فحافظي عليها
وتذكَّري: إن نوم العمالقة شديد العُمق
والساحرات كثيراً ما يخونهن الجوع
ولكلِّ تنينٍ نقطة ضعفٍ واحدةٍ دائمًا
وتذكَّري أن كلَّ القلوبِ يمكن إخفاؤها
لكننا نشي بما يُفعمها بألسنتنا

لا تشعري بالغيرة من أختكِ

واعلمي أن الماسات والورود تؤلم -تمامًا كالضفادع- عندما تتساقط من الأفواه

بل هي أكثر برودة وحدة، وتجرح.

تذكَّري اسمكِ

ولا تفقدي الأمل، فما تبحثين عنه ستجدينه

ثقي بالأشباح، وثقي أن من ساعدتِ سيساعدونكِ في المقابل

ثقي بالأحلام

وثقي بقلبكِ، وبقصَّتكِ.

عندما تعودين، اسلكي الطريق نفسه

سوف تُرد لكِ الجمائل، وتُرد لكِ الديون

لكن لا تنسي سلوككِ المهذَّب

ولا تنظري خلفكِ

امتطي النسر (لن تسقطي)

امتطي السمكة الفضيَّة (لن تغرقي)

امتطي الذئب الأشهب وتمسَّكي بفرائه جيداً.

ثمَّة أفعى تُعشِّش في قلب البُرج، ولهذا لن يظل شاهقًا طويلاً.

عندما تبلغين البيت الصغير -الذي بدأتِ منه رحلتكِ- سوف تعرفينه

رغم أنه سيبدو أصغر كثيراً مما تذكرين

اقطعي الممر، ثم بوابة الحديقة التي لم تريها إلا مرَّةً

وعودي إلى بيتكِ، أو شيِّدي بيتًا

أو استريحي.

نُشرَت في *Fragile Things* عام 2006

العنقاء

تشاك پالانيك

ترفع ريتشل سمَّاعة الهاتف ليلة الاثنين لتطلب البيت من غرفة الموتيل الصغير في أورلاندو، وبينما يرن الهاتف على الطَّرَف الآخر من الخط، تلتقط جهاز التحكُّم عن بُعد وتتنقَّل بين محطَّات التليفزيون وقد كتمت الصوت. تعد خمس عشرة رنَّة، ست عشرة، ثم يرُد تد مع الرنَّة السادسة والعشرين بصوتٍ لاهث، فتطلب منه أن يُناول السمَّاعة لابنتهما.

يقول تد:

- «سأذهب لأحضِرها، لكنني لا أعدك بأيِّ معجزات.»

تسمع صوت وضْع الهاتف على طاولة المطبخ، ثم تسمع صوت زوجها يرتفع وينخفض وهو يدور في أنحاء البيت صائحًا:

«إپريل، حُلوتي! تعالي وكلِّمي أمك!» تسمع صرير الباب الشَّبَكي عند مدخل البيت، ثم يعلو صوت خطوات تد ويخفت مع انتقاله من الأرضيَّة الخشبيَّة إلى دَرَجات السلالم المكسوَّة بالموكيت.

تجلس ريتشل على الفراش منتظرةً. رائحة سجَّادة الغرفة وستائرها تُذكِّرها بعض الشيء بمتاجر الملابس المستعملة: كثيرٌ من القماش العفِن مع بعض العَرَق ودخَّان السجائر. من النادر أن تضطر ريتشل للسفر بسبب عملها، حتى أن هذه هي رحلتها الأولى خارج المدينة منذ مولد إيريل قبل ثلاث سنوات.

تتنقَّل بجهاز التحكُّم عن بُعد بين مباريات كرة القدم وأغانٍ بلا موسيقا.

***

لم يكن البيت الذي يعيشون فيه الآن هو الأول، أما البيت الذي كانت تقطنه مع تد قبل ولادة ابنتهما، فقد أتى عليه حريق دمَّره عن آخره، لكن الحريق لم يكن خطأ أحد، وقد تم إثبات هذا في المحكمة. كان حادثًا جنونيًّا وجد له مكانًا بارزًا في تاريخ سجلات التأمين الخاصَّة بأصحاب العقارات، وقد فقدا بسببه كل أملاكهما، ثم وُلدت ابنتهما عمياء. نعم، كانت إيريل عمياء، لكن كان من الممكن أن تصير الأمور أسوأ من هذا بكثير. كان ذلك البيت الأول ملكًا لتد قبل أن يلتقيا حتى، وقد احتلَّ أحد جدران غرفة الطعام لوح ضخم من الزجاج المنقوش، كان يُلقي شكل شبكةٍ على المائدة والمقاعد

السوداء المصقولة بنوعٍ فاخرٍ من الورنيش. بضغطة زرٍّ يتراقص لهب الغاز في مدفأة غرفة المعيشة على طبقةٍ من الجرانيت المسحوق، أما الأحواض والمراحيض وأحواض الاستحمام فكانت كلها من البورسلين الأسود، بينما تتدلَّى ستائر عموديَّة على النوافذ كلها.

كان البيت مناسبًا تمامًا لتد، الذي كان يملك قطة أطلق عليها اسم بيلندا كارليسل، وكان يتركها تشرب من شطَّاف الحمَّام الأسود. كانت قطة بورمية ذات فرو أسود طويل جعلها تبدو كبالونٍ من الشعر الأسود. كان تد يحب بيلندا كارليسل، لكنه من البداية لم يسمح لها بأن تتعلَّق به كثيراً، وكي يتعامل مع مشكلة شعرها المتساقط في كلِّ مكان، كان يستخدم واحدةً من تلك المكانس الكهربائية الروبوتية التي تجوب أرضيات البيت طوال اليوم لتُنظِّفها... أو على الأقل كانت تلك هي النتيجة المرجوَّة، ففي غير مرَّةٍ حدث أن تحالفت الاثنتان -القطة والمكنسة- ضده، إذ تصاب القطة بالإسهال، فتنطلق المكنسة لتنظيفه، فتكون النتيجة أن تنشر الفضلات على السجَّادة كلها.

بعد مضي عامٍ على زواجهما، أعلنت ريتشل أن عليهما

الانتقال إلى بيتٍ جديد. كانت حاملاً، ولم تكن لديها رغبة في أن تأتي بوليدٍ جديدٍ إلى عالمٍ من السجَّاد المتسخ واللهب المفتوح، لذلك عليهما بيع هذا البيت والتخلِّي عن القطة. حتى تد اعترف لنفسه بأن المكان لا تغيب عنه رائحة فضلات القطط مهما غيَّرا وعاء الفضلات ومهما نظَّفا السجَّاد؛ وبالطبع ليس من الصحِّي لامرأة أن تكون حاملاً في وجود وعاء لفضلات القطط في البيت نفسه. على العشاء شرحت له حقيقة التوكسوپلازموزيس الذي ينتج عن طفيليات التوكسوپلازما جوندي ويعيش في أمعاء القطط، وهو ينتشر عن طريق براز القطط ومن شأنه أن يتسبَّب في وفاة الرُّضع أو إصابتهم بالعمى.

كانت معتادةً على شرح كلِّ شيءٍ لتد، فقد كانت تعرف أنه لم يكن شديد الذكاء ولن يكون أبدًا، وكان هذا منبع جاذبيته بالنسبة لها. كان مخلصًا هادئ الطباع، وكان يعمل بجدٍّ إذا لازمته وأخبرته بما يجب أن يفعله. الحقيقة أنها تزوَّجته لأنه يملك جميع الخصال التي يُمكنها تعيين موظَّفٍ في شركتك بعقدٍ طويل المدَّة بسببها.

كانت تتكلَّم ببطءٍ بين قضمةٍ وأخرى من السپاجيتي. الطريقة الوحيدة لإخفاء رائحة القطط هي إضافة الكزبرة الخضراء لكلِّ

شيء. بعد أن فرغت من كلامها جلس تد عبر المائدة، وقد صنعت ظلال الزجاج المنقوش ما يُشبه الخريطة على وجهه وقميصه الأبيض، وكان بإمكانها مع الصمت السائد أن تسمع صوت الفقَّاعات في زجاجة المياه المعدنية. لا يهم الصنف الذي يطبخه تد، فلا شيء يبدو شهيًّا مع الأطباق الصيني السوداء التي يستخدمها.

رمش تد بعينيه وسألها:

- «ماذا تقولين؟»

قالت ريتشل بمزيدٍ من البطء هذه المرَّة:

- «يجب أن نجد بيتًا جديدًا.»

قال تد وهو يمط حروف كلماته كأنه يحاول كسب بعض الوقت:

- «لا، قبل ذلك.»

لم تشعر ريتشل بالضِّيق، فقد تمرَّنت على هذه المحادثة طوال أيام، ومع ذلك كان يجدر بها أن تضبط إيقاع كلماتها أكثر، فقد كان ما ذكرته أكثر من أن تُلقيه عليه دُفعةً واحدةً.

- «قلت إننا يجب أن نعرض هذا البيت للبيع.»

أغلق تد عينيه وهزَّ رأسه وقال وقد عقد حاجبيه:

- «قبل ذلك.»

- «ما قلته عن بيلندا كارليسل؟»

قال بأسلوبٍ مُلاطِف:

- «قبل ذلك.»

شعرت ريتشل بالقلق من فكرة أن تد ليس غبيًّا حقًّا، بل فقط لا يُصغي لأيِّ شيءٍ تقوله. هكذا أعادت شريط المحادثة إلى بدايته في عقلها، ثم قالت:

- «أتقصد الجزء الخاص بكوني حاملاً؟»

- «أنتِ حامل؟»

ووضع منديل المائدة الأسود على شفتيه؛ ليمسحهما أم يُخفيهما، فهذا ما لم تتبيَّنه ريتشل.

***

ما زالت ليلة الاثنين في أورلاندو، وما زالت ريتشل تنتظر على الهاتف.

تزيح ملاءة الفراش وتتمدَّد لتُشاهد قناة التسوُّق المنزلي. أكثر ما تحبه في هذه القناة أنها لا تعرض الإعلانات. على الشاشة

تدور الخواتم الماسيَّة بالتصوير البطيء تحت أضواء الهالوچين مُكبَّرة مائة مرَّة عن حجمها الأصلي. دائمًا ما يتكلَّم المُعلِن بأسلوبٍ متشدِّق، ودائمًا ما يبدو شديد الحماس وهو يقول: «بادروا بالشراء الآن، الكمية محدودة!» الخواتم الزمرد تباع بسعرٍ لا يقل عن سعر علبة الكاچو في ثلاجة غرفة الموتيل.

صوت التليفزيون مكتوم، لذلك تستطيع أن تسمع على الجانب الآخر من الهاتف نباح كلب الجيران، ثم يصمت النباح كأنه شيئًا كتمه، كأن إپريل وضعت السمَّاعة على أذنها. تقول ريتشل وقد حبست أنفاسها لتسمع جيدًا:

- «صغيرتي؟ بوبو؟ كيف حالك أنت وبابا في غياب ماما؟»

تتكلَّم وتتكلَّم حتى تشعر بأنها حمقاء تُثرثر مع نفسها في غرفة موتيل خاوية.

هذا الصمت -تتصوَّر ريتشل- هو عقاب. كانت قد لاحظت في الليلة السابقة لسفرها اصفرارًا في أسنانها عزته إلى تناوُل الكثير من القهوة، فحضَّرت صفائح التبييض بعد تناوُل العشاء، وتركت إپريل تتفحَّصها بيديها، وشرحت لها كيف تُثبَّت على الأسنان، ما يعني أن ماما لن تستطيع الإجابة على أيِّ أسئلة بمجرَّد وضع

الصفائح على أسنانها. إذن ماما لا تستطيع الكلام على الإطلاق لمدَّة ساعة على الأقل، فإذا أرادت إپريل شيئًا فعليها أن تطلبه من أبيها. ثم لم تكد ريتشل تضع چل التبييض غالي الثمن في الصفائح ووضعت الصفائح في فمها، حتى كانت إپريل تجذبها من كُمها وتطلب منها حدوتة قبل النوم.

لم يُساعدها تد على الإطلاق، وخلدت إپريل إلى النوم باكيةً، وظلَّت أسنان ريتشل صفراء.

الأصوات القادمة عبر الحائط تُخبرها بأن ضيفي الغرفة المجاورة مستغرقان في وصلة نكاحٍ في أوجها، فتضم ريتشل يدها حول السمَّاعة آملةً ألا يبلغ الصوت ابنتها. تشعر بالقلق من أن الخط قد قُطِع، فتُكرِّر مرَّة تلو الأخرى: «إپريل، هل تسمعينني؟» ثم تستسلم وتطلب من البنت أن تُناول الهاتف لأبيها.

يأتي صوت تد:

- «لا يُقلقنَّك هذا. إنها تُعاقبك بالصمت فقط.»

ثم يبتعد صوته قليلاً، ما يدل على أن فمه ليس على السمَّاعة الآن:

- «أنت مستاءة من غياب ماما فقط، أليس كذلك؟»

صمْت، لكن ريتشل تسمع موسيقا الكرنڤال وأصوات الشخصيات الكارتونية السخيفة قادمة من التليفزيون في غرفة المعيشة، ولا تفوتها حقيقة أنها غالبًا ما تسمع التليفزيون دون صوتٍ بينما تُشاهده ابنتها دون رؤية.

يأتي صوت تد وفمه لا يزال بعيدًا قليلًا عن السمَّاعة:

- «ما زلت تحبين ماما، أليس كذلك؟»

صمْت آخر، ولا تسمع ريتشل شيئًا حتى يقول تد بلهجة استرضاء:

- «كلا، ماما لا تحب عملها أكثر منك.»

لا تبدو نبرة صوته مُقنِعة تمامًا، وبعد صمْتٍ آخر تسمعه يقول موبِّخًا:

- «لا تقولي هذا يا آنسة! لا تقولي هذا أبدًا!»

نبرة صوته تجعل ريتشل تتوقَّع أنه سيهوي على وجه الفتاة بصفعةٍ حالًا. إنها تريد أن تسمع الصفعة، لكن رنينها لا يأتي، والآن يقول تد وقد وضَع فمه على السمَّاعة من جديد:

- «ماذا أقول؟ طفلتنا شديدة العناد حقًّا.»

هنا تشعر ريتشل بسرورٍ لا يخلو من إثارة. آخر ما تريده هو

أن تكون ابنتها ضعيفة الشخصيَّة مثل تد، لكنها تحتفظ لنفسها بهذه الكلمات.

وهكذا تنتهي مكالمة يوم الاثنين.

***

كانت بيلندا كارليسل قطة تد منذ فطامها، وعندما أدرجاها على عدَّة مواقع إلكترونية لتبنِّي الحيوانات، كانت قد صارت قطة عجوزًا... عجوزًا وتُخرج الغازات من بطنها كثيرًا. غالبًا لن يهتم بالأمر سوى الباحثين الطبيين. عندما طُرح القتل الرحيم كأفضل خيارٍ لديهما، اصطحب تد ريتشل إلى المطبخ وأراها كيس طعام القطط الذي يزن خمسين رطلاً، وكان لا يزال ممتلئًا فوق منتصفه بقليل. قال لها:

- «امنحيني فرصة حتى نفاد الطعام المتبقِّي لأجد لها عائلة جديدة ترعاها.»

اعتبرتها ريتشل تسوية لا بأس بها، فكل يوم يعني أن ينقص طعام القطة مقدار مغرفتين، وأصبح كيس الطعام بمثابة ساعة رمليَّة تعد الأيام الأخيرة المتبقية للقطة معهما. على أن ريتشل لم تعد متأكِّدة تمامًا بعد مرور أسبوعين، فكيس الطعام كان لا يزال

نصف ممتلئ، وفي الحقيقة كان يبدو أثقل مما كان عندما عقدت اتفاقها مع تد. كانت ترتاب الآن في أن تد يغش، يُهرِّب طعام القطة من مصدرٍ آخر، ولعله يحتفظ بكيسٍ إضافي سرًّا في سيَّارته أو في مكانٍ ما في المرآب. قرَّرت أن تختبر نظريتها، فبدأت تضع حصصًا مضاعَفة للقطة من طعامها عند كلِّ وجبة، وأقنعت نفسها بأنها تُدلِّل القطة بدلًا من أن تُعجِّل بموتها.

كان وعاء طعام القطة يكاد لا يحتوي الطعام الإضافي، لكنها كانت تلتهمه كله على كلِّ حال، وكانت تزداد بدانة، لكنها لم تقترب من الرحيل على الإطلاق؛ وكحكاية الخُبز والأسماك، أو ذلك المصباح في معبد داود، ظلَّ كيس الطعام نصف ممتلئ.

***

ليست مكالمة ليلة الثلاثاء أفضل بحال. في كلِّ ليلة تتبادل مع تد بعض الأخبار الصغيرة: هو جمع أوراق الأشجار المتساقطة في حديقة البيت مع بداية الخريف، وهي طبَّقت الخطوات الأولية لرسائل الأقمار الصناعية قصيرة الموجة. هو وجد بقَّالًا يبيع أنواع الجبن التي تحبها، وهي أعادت تنصيب المصفوفة الرقميَّة. تقول إن أورلاندو أسوأ مكان يمكن أن يجد المرء نفسه فيه دون أطفاله.

ران الصمت عندما كفَّت عن الكلام، كأن تد منتبه إلى شيءٍ آخر. تُصغي إلى صوت ضربات أصابعه على لوحة المفاتيح وهو يكتب رسائل ما، ثم يتكلَّم أخيراً ويقول:

- «ماذا يحدث عندك؟»

يقصد الأصوات. إنهما نزيلا الغرفة المجاورة في وصلة نكاحٍ جديدة. في الحقيقة يبدو أنهما لم يتوقَّفا أبداً، إلى درجة أن ريتشل كانت قد اعتادت على صوت أنينهما وصيحاتهما الحادَّة حتى لم تعد تسمعه أصلاً. لقد استمرَّت الأصوات لفترةٍ شديدة الطول تجعلها تحسب الآن أن فيلمًا إباحيًّا يتم تصويره في الغرفة المجاورة، فليس هناك أحد غارق في الحب إلى تلك الدرجة. إنها تشعر بالغيظ من فكرة أن تد كان يُصغي إلى صوت مضاجعة هذين الغريبين بدلاً من كلامها عن التطوُّرات التي أحرزتها في عملها. يقول تد بينما يدور حجر من الياقوت الأزرق على شاشة التليفزيون:

- «خذي الهاتف يا إيريل، قولي لماما تصبحين على خير.»

تحاول ريتشل -كي تسمع جيداً- أن تحجب الأصوات القادمة من الطريق السريع خارج الموتيل وطنين الثلاجة والألحان الحميمة

القادمة عبر الجدار. إنها لم تشرب الكحول منذ ثلاث سنوات عندما تناولت بعض شراب الإجنوج المميِّز لأعياد الكريسماس، لكنها تتَّجه الآن نحو الثلاجة الصغيرة وتتفحَّص الرف الذي يحمل الزجاجات الصغيرة، التي يزيد ثمن كل منها عن الدلاية الماسية المعروضة على شاشة التليفزيون الآن. ثمَّة عدَّاد تنازلي يقول إن هناك أقل من خمسة آلاف قطعة متبقية فقط. تمزج ريتشل لنفسها - بثمن زوجٍ من الأقراط اللؤلئيَّة- بعض الچين والتونيك وتجرعه دفعة واحدة.

يأتي صوت تد متوسِّلًا مكتومًا من الخلفيَّة:

- «احكي لماما عن السلاحف التي راقت لك في حديقة الحيوان.»

صمْت، وتشعر ريتشل باحترامٍ لا شكَّ فيه لابنتها لم يسبق أن شعرت به نحو زوجها نفسه. على العشاء تفتح كيسًا من حبَّات الشوكولاتة من ثلاجة الغرفة يفوق سعره سعر خاتم الخطبة المعروض على قناة التسوُّق. كل كيس من شرائح البطاطس أو لوح من الحلوى تأكله سيظهر آخر مكانه كما لو بفعل السِّحر.

***

واجهته ريتشل بأمر طعام القطة، لكنه أنكر أنه يغش في الاتفاق المُبرَم بينهما. لم تذكر مسألة الإفراط في إطعام القطة، لكنها أشارت إلى أن خمسة أسابيع كاملة قد مرَّت والقطة تبدو كبطيخة ترتدي معطفاً من الفراء. الواقع أن ريتشل نفسها لم تكن آية في الرشاقة. سألته مشيرةً إلى كيس الطعام:

- «هل تقصد أن هذه معجزة مثلاً؟»

لم يكن من العوامل المساعدة أن السمسار الذي عرض البيت للبيع قد ذَكَر لهما أن رائحة غرفة المعيشة سيئة، وأضاف أن السعر الذي يطلبانه يربو على أسعار السوق الحاليَّة بمائتي ألف دولار كاملة. ولم تكن هرمونات ريتشل من العوامل المساعدة كذلك، ما جعلهما في شجارٍ ونقارٍ معظم الوقت، وطوال الفترة الفاصلة بين عيد الشُّكر والكريسماس كانا يتشاحنان كلَّ يومٍ تقريباً. في تلك الفترة ارتفع مستوى طعام القطة في الكيس حتى انسكب منه على أرضية المطبخ، وصارت القطة منتفخة تماماً حتى باتت تستطيع جرَّ نفسها بالكاد على سجَّادة غرفة المعيشة.

وكان هذا عندما اشتعلت النار في بيتهما المبالَغ في ثمنه.

***

تتَّصل ريتشل -كالعادة- ليلة الأربعاء من أورلاندو وهي تكاد تأمل ألا تتكلَّم إپريل هذه الليلة أيضًا، لأن هذا قد يُثبت أن الفتاة قد ورثت منها شيئًا من نباهتها. تسأل على سبيل الاختبار: «ألا تحبين ماما؟» وبصوتٍ هامس لا يسمعه سواها تدعو ألا تلتقط الفتاة طُعمًا واضحًا كهذا.

العالم مكان شنيع، وآخر شيء تريده ريتشل هو ابنة هشَّة طيِّعة كثمرةٍ من الموز ناضجة أكثر من اللازم. وكأن إپريل تحتاج إلى مزيدٍ من الاختبار، تقول ريتشل:

- «ستغنِّي ماما لك أغنية قبل النوم.»

وتبدأ في دندنة أغنية من أغاني المهد تعرف أنها ستذيب عناد صغيرتها، تدعمها الأنَّات والآهات القادمة عبر الجدار؛ تلك الأصوات عديمة اللغة التي يُصدرها الضعفاء رغم إرادتهم. تنوي ريتشل ترديد الأغنية كلها، لكنها تفقد أعصابها عندما تسمع ضحكات تد. الضحكات مرتفعة للغاية تجعلها تعرف أن البنت وضعت سمَّاعة الهاتف وابتعدت، وأنها كانت تُغنِّي لمطبخٍ خالٍ طوال الدقائق الماضية. تبتر الأغنية وتقول محذِّرةً:

- «ستجعيلن ماما تبكي إذا لم تُكلِّميها.»

لا يهم ما تقوله طالما ليس هناك من يسمعها. تتظاهر بأنها تبكي، ثم يتطوَّر تمثيلها إلى نحيبٍ مرتفع، ما وجدته أسهل مما توقَّعت. وعندما تجد أنها لا تستطيع التوقُّف، تضع ريتشل سمَّاعة الهاتف.

***

لم تخترع ريتشل أخطار التوكسوپلازموزيس من عندها. لقد أجرت بحثًا دقيقًا على الإنترنت جعل حجتها بلا ثغرات. ما تقوله ليس جنونًا. لقد ربط علماء المخ والأعصاب طفيليات التوكسوپلازما جوندي بالانتحار وبدايات الإصابة بانفصام الشخصيَّة، وهو ما يتسبَّب فيه التعرُّض لبراز القطط. بل إن بعض الدراسات أشار إلى أن تلك الطفيليات تدفع الناس من خلال مركَّب كيميائي ما تُفرزه إلى تبنِّي المزيد من القطط! هؤلاء المجانين عشَّاق القطط في الحقيقة مرضى واقعون تحت تأثير غزوٍ من الكائنات وحيدة الخليَّة!

مشكلة شرح الأشياء للأغبياء أنهم لا يعرفون أنهم أغبياء، والشيء نفسه ينطبق على المجانين، وتد كان هذا وذاك في آنٍ واحد.

في ليلتهما الأخيرة في بيتهما الأول، وكما شرحت ريتشل للشرطة لاحقًا، كانا قد ذهبا لحضور احتفالٍ بعيد الميلاد المجيد في الحي نفسه. كانا عائدين إلى البيت وقد شربا قدرًا لا بأس به من الإجنوج، وإذ مشيا في تؤدة على الثلج الذي كسا الشوارع، قالت لتد إنه لا ينبغي أن يكون مرهف المشاعر إلى ذلك الحد. كانت تتكلَّم ببطءٍ آملةً أن تنفذ كلماتها عبر جمجمته السميكة.

كانت آثار قدميها على الثلج عميقة إثر الوزن الزائد الذي تحمله في بطنها.

كما حكت ريتشل للشرطة، فقد دخلت البيت المظلم أولًا، ولم تكن قد خلعت معطفها بعد عندما شعرت بأن الجو داخل البيت شديد البرودة. كانت شجرة الكريسماس تملأ نافذة غرفة المعيشة بالكامل حاجبةً أيَّ ضوءٍ من الشارع، والحقيقة أن الجميع افترضوا أن المشتبه به الأول هو تلك الشجرة. كان المشتبه بهم المعتادون هُم الشموع المعطَّرة أو أنوار الزينة سيئة التوصيلات أو مخارج الكهرباء المحمَّلة بتيارٍ زائد. كان رأي تد أنها المكنسة الكهربية الروبوتية، وراهنَ أنها سخنت أكثر من اللازم، فحدث عُطل ما فيها جعلها تدور كالمجانين في كلِّ أنحاء البيت وهي مليئة بشعر القطة

سهل الاشتعال، لتنشر اللهب في كلِّ شيء.

***

ليلة الخميس في أورلاندو، والمعضلة الأزلية: كلما حاولت ريتشل استعجال عملية تركيب النظام الجديد، كلما استغرقت وقتاً أطول. تتصل بهاتفها لتترك رسائل لنفسها: «لا تنسي بيان الجرافكس.» تلتقط هاتفها من على الكومود المجاور للفراش وتتصفَّح الصور عليه. ليست هناك إلا صورة واحدة لإيريل، وبشكلٍ ما تشعر أنه من الخطأ أن تلتقط صورةً لشخصٍ كفيف، كأنك تسرق منه شيئًا قيِّمًا لا يدري أنه يملكه أصلاً. من هذا المنطلق تُدرِّب ريتشل نفسها على ألا تقول أبدًا أشياء على غرار «هذا غروب شمس جميل» أو «انظري لي يا عزيزتي». في حضور إيريل سيكون من القسوة أن تهتف: «يا لها من زهرة رائعة!». كانت هي وتد قد التقيا عبر «موعد غرامي أعمى»، وهي عبارة أخرى صارت تتحاشاها ريتشل تمامًا.

مؤخَّرًا بدأت إيريل تُردِّد عباراتٍ من نوع «انظري إليَّ! انظري إليَّ يا ماما! هل تنظرين؟». طبعًا لم تكن إيريل تُدرك معنى ما تقول، لكن هذا هو ديدن الأطفال، المبصر منهم والأعمى. إن جوهر

الأبوة والأمومة هو التحوُّل الذي يحدث من كونك الشخص محل المراقَبة إلى الشخص المراقِب.

إنها ليلة الخميس، ومرَّة أخرى ترفض البنت أن تُصدر صوتًا واحدًا. تصيخ ريتشل السمع، تتملَّق البنت وتُغرقها بالوعود، إلى أن يلتقط تد منها الهاتف ويقول إنه آسف ولا يستطيع إجبار البنت على الكلام.

تطلب منه أن يحاول، لكنه موهوب حقًّا في الاستسلام السريع. تقترح أن يُدغدغ البنت كي يجعلها تضحك، وتسأله إن كانت تتأثَّر سريعًا بالدغدغة، فتأتي إجابته الضاحكة، لكن ضحكاته نابعة غالبًا من عدم التصديق:

- «هل تسألينني إن كانت ابنتك تتأثَّر سريعًا بالدغدغة؟ أين كنتِ طوال السنوات الثلاث الماضية؟»

***

بعد ليلة الحريق لم تقبل ريتشل اللوم إلا على الزر الذي ضغطته. قالت ريتشل إنها، قبل إشعال أنوار غرفة المعيشة، ضبطت مُنظِّم الحرارة ليبث بعض الدفء في المكان الذي كان شديد البرودة، وفي اللحظة التي أشعلت فيها لهب الغاز في المدفأة بدأ الصراخ.

صراخٌ غير أرضي ملأ الحجرات المظلمة كما لو أن شيطانًا قادمًا من أعماق جهنم خرج ليُدمِّر الصمت تدميراً، وفي ثوانٍ كانت النيران قد اشتعلت في البيت كله. اتَّقدت شجرة الكريسماس، واتَّقدت الوسائد السوداء، واتَّقد السجَّاد الأسود، وهُرع تد إلى الداخل ليحتوي ريتشل، بينما انفجر اللهيب البرتقالي في ملاءات الأسِرَّة ومناشف الحمَّام. أفعمت رائحة الدخان والشعر المحترق الهواء، وأضافت أجهزة إنذار الحريق إلى الصخب السائد صخبًا لا يُطاق. لم يجدا وقتًا لإخراج سيارتهما السوداء من المرآب لإنقاذها، قبل أن يُرفرف اللهب من جميع نوافذ الطابق العلوي كأعلامٍ ناريَّة. كانا واقفين في الباحة الأمامية المغطَّاة بالثلج عندما ظهرت سيارات المطافئ مُطلقةً أبواقها فجأةً، لكن النار كانت قد احتوت البيت بالكامل.

***

في أورلاندو كانت الأفكار تعصف برأسِ ريتشل. ليس من المستبعَد إطلاقًا من تد أن يُخفي عنها خبراً سيئًا ما، حتى تعود على الأقل. إذا كانت إيريل في المستشفى، إذا لدغتها نحلة مثلاً وكان رد الفعل عنيفًا -أو أسوأ- فسيحسب تد أنه يُسدي لها معروفًا

بإحجامه عن إخبارها على الهاتف. هكذا تفتح ريتشل الإنترنت وتبحث عن الحوادث التي تتضمَّن فتياتٍ في الثالثة من عمرهن خلال الأسبوع المنصرم في سياتل، ولهلعها تجد واحدًا بالفعل. طِبقًا للموقع الإخباري، فإن كلب الجيران قد هاجم بنتًا في الثالثة من عمرها، وهي الآن في حالةٍ حرجة في المستشفى، لكن الخبر لا يذكر الاسم.

تُصغي ريتشل في تلك الليلة إلى الرسائل الجديدة على الهاتف، وكلها من نفسها إلى نفسها. «تذكَّري: الآثار الثانوية!» كلمتان بأسلوبٍ صارمٍ حاد لم تعد تدري المغزى منهما وقت تسجيلهما. اضطرت لمراجعة رقم الراسل لتتعرَّف على نفسها. أهذا هو صوتها حقًّا؟

ظلَّت الفكرة تُثقلها طوال الليل: كم طفلاً يختنق حتى الموت بعد ابتلاع كرة مطاطية ولا يبلغ الخبر السي إن إن؟ تضغط أيقونة (رفرش) مرَّة تلو الأخرى آملةً في تحديثٍ للخبر على موقع سياتل تايمز. أي أُمٍّ هي إذا كانت لا تحس بكون طفلتها حيَّة أم ميتة؟

***

لم يعتبر رجال الإطفاء أن الحريق قد شبَّ بفعل فاعل، ليس في

البداية على الأقل. لقد جعلهما الحريق من المشاهير، وليس على نحوٍ مُحبَّب، فقد أصبحا دليلاً حيًّا على شيءٍ لا يرغب الناس في تصديق أنه يمكن أن يحدث فعلاً.

تحرَّك رجل الإطفاء عبر الغُرف المتفحِّمة متتبعًا مسار الحريق الذي بدأ من مدفأة غرفة المعيشة مكوِّنًا حلقةً حول الغرفة، ثم اشتعلت بعدها غرفة الطعام. ثم إنه رسم كروكيًّا سريعًا على ورقة رسم بياني موضِّحًا امتداد الحريق من غرفة الطعام عبر السلالم إلى غرفة النوم الرئيسة والحمَّام بالطابق العلوي. كان يحمل تحت إبطه شيئًا ملفوفًا بكيس قمامة أسود، وقال لريتشل وتد:

- «ألعن شيء رأيته على الإطلاق.»

وفتح الكيس وتركهما يُلقيا نظرة بالداخل. كانت الرائحة شنيعة، مزيجًا من الشعر المحترق والكيماويات.

ألقى تد نظرةً واحدةً، وبدأ يرتجف في عنف.

***

ليلة الجمعة في أورلاندو، وريتشل قد بدأت في التفكير في الاتِّصال بالشرطة. لكن ماذا عساها تقول؟

تبحث عن تحديثٍ لخبر البنت التي في الثالثة من عمرها في

حالةٍ حرجةٍ في المستشفى، ثم تتّصل بجارةٍ لهم اسمها چوآن. إن بينهما معرفة عابرة قائمة على الكراهية المشتركة لجامعي القمامة. ترفع چوآن السماعة بعد تسع عشرة رنَّة، فتسأل ريتشل إن كان تد قد أخرج صفيحة القمامة هذا الأسبوع. تُصغي ناقلةً الهاتف من أذنٍ إلى أخرى، لكنها لا تسمع شيئًا، ومعظم ما لا تسمعه هو نباح كلب چوآن الذي لا يتوقّف أبدًا.

أخيرًا تقول چوآن:

- «جمع القمامة الأسبوع القادم يا ريتشل.»

صوتها متحفِّظ، وتنطق اسم ريتشل كأنها تُنبِّه أشخاصًا آخرين موجودين إلى مُحدِّثتها على الهاتف. تسألها عن أورلاندو، وتُنقِّب ريتشل في ذاكرتها عما إذا كانت قد ذكرت الرحلة لها أم لا.

تقول مختبِرةً:

- «أتمنى أن تد لا يُدلِّل إپريل أكثر من اللازم في غيابي.»

لحظة صمْت، لكن أطول من اللازم.

- «إپريل؟ ابنتي؟»

- «أعرف من تكون إپريل.»

الآن هناك عصبيَّة في صوت الجارة، ولا تستطيع ريتشل أن

تكتم السؤال:

- «هل عضَّ كلبك طفلتي؟»

وينقطع الخط...

***

على الأقل حلَّ رجل الإطفاء لغز رائحة البيت السيئة التي تسود كل شتاء. اتَّضح أن القطة كانت تستخدم الجرانيت المسحوق في المدفأة لقضاء حاجتها، وكلما اشتعل لهب المدفأة كانت أرطال وأرطال من فضلات القطة تحترق. قال لهما مندوب شركة التأمين إن ما حدث غير مسبوق، ولاحظت ريتشل أنه كان يكتم ضحكاته بالكاد، عندما شرح أن القطة لا بد كانت تُفرغ أمعاءها في نفس اللحظة التي أشعلت فيها ريتشل المدفأة.

إذن كانت بيلندا تقضي حاجتها سرًّا في كهف المدفأة الصغير، ولعلها فضَّلت دفء المصباح السهَّاري المثبَّت بالمدفأة مع برودة البيت ليلتها. لعلها سمعت طقطقة مشعل المدفأة الكهربي قبل أن ينبثق اللهب من كلِّ اتجاه.

اشتعل الشيطان الصغير المكسو بالشعر فجأةً، فاندفع مُطلقًا صرخاته في كلِّ ركنٍ من البيت، ومُشعلاً النار في كلِّ شيءٍ مصنوع

من القماش، قبل أن يسقط ميتًا في خزانةٍ مفتوحةٍ بالطابق العلوي، تحوي ملابس ريتشل التي استلمتها من التنظيف الجاف، مغلَّفةً بالبلاستيك سريع الاشتعال.

***

ليلة الجمعة تتَّصل ريتشل بالبيت ثلاث مرَّاتٍ، لكن البريد الصوتي يجيبها في كلِّ مرَّة. تتخيَّل البيت خاليًا. من السهل عليها أن تتصوَّر تد وهو يبكي إلى جوار فراشِ في مستشفى.

عندما يرفع السمَّاعة أخيرًا تطلب أن تُكلِّم إپريل.

- «إذا كان هذا ما تريدين أيتها الصغيرة، فلا كريسماس، لا احتفال، لا پيتزا حتى تقولي شيئًا.»

تنتظر غير راغبةٍ في أن تكون كلماتها مؤلمة. تعزو مزاجها السيء إلى شراب الرَّم والكولا الدوبل الذي يربو سعره على إبزيم الحزام الفيروزي المعروض على شاشة التليفزيون.

تقول في توبيخٍ ساخر محاولة استخلاص أي استجابة:

- «كانت لديَّ فتاة صغيرة عمياء، لكن عمياء فقط. هل أصبحتِ هيلين كلر الآن؟»

الرَّم هو الذي يتكلَّم الآن، وعلى الشاشة يتألَّق حجر توباز

ويدور في بطء والتليفزيون صامت.

مع الصمْت التام تسمع ريتشل صوت أنفاس. إنها لا تتخيَّل.

هذه أنفاس إيريل المتلاحقة كأن ذراعيها الصغيرتين المكتنزتين متقاطعتان على صدرها وقد احمرَّ وجهها غضبًا.

مقامِرةً تقول ريتشل:

- «ماذا تريدين أن أبتاع لك عندما أعود؟»

لا بأس من رشوةٍ تساعد على حِفظ ماء وجه الجميع.

- «ميكي ماوس أم دونالد دك؟»

تسمع لهاثًا خافتًا، ثم يتوقَّف صوت الأنفاس للحظةٍ قبل أن يتصاعد صوت عالٍ يصرخ:

- «دادي! اجذب شعري! دادي! أدخله من الخلف!»

هذا ليس صوت إيريل بالطبع، بل الضيفين في الغرفة المجاورة.

تقول ريتشل في جمود:

- «ماذا لو استخدمنا لوحًا من الشوكولاتة يزن ألف رطلٍ مغطى بالآيس كريم؟»

ثم تضغط السمَّاعة على صدرها وتدق بقبضتها على الحائط

صائحةً:

- «ما رأيك أن يضاجعك مُهر وردي صغير؟!»

على الهاتف تسمع طنين المكنسة الكهربية الروبوتية (واحدة أخرى بالطبع) وهي تُنظِّف الأرضيات وترتطم بالجدران كحيوانٍ أعمى (هل هناك تشبيه آخر؟)

يجلس تد على مؤخِّرته طوال اليوم، لكنه لا يزال يريد الاعتماد على الآلات التي تُوفِّر المجهود. تخيف ريتشل فكرة أن تتعثَّر إپريل في المكنسة اللعينة، لكن تد يصر على أنها أذكى من الماكينة الرخيصة.

يومض الخاطر في ذهنها فجأة وتوقن من أنه صحيح. حتى إذا كانت ثملة الآن بعض الشيء، فالفكرة منطقيَّة تمامًا. تد يلومها على ما حدث لقطته. هو ليس شديد الذكاء، لكنه ليس غبيًّا تمامًا. لقد تحيَّن الفرصة المناسبة، والآن ينال انتقامه.

تنتاب صوتها رعشة صغيرة يتسرَّب منها ذعرها كله.

- «إپريل، صغيرتي، هل يؤذيك بابا؟»

تحاول ألا تسأل، أن تكف عن السؤال، لكن الأمر يشبه محاولة إصلاح بالون بعد انفجاره.

***

عندما وُلدَت إپريل كانا قد استقرَّا في بيتٍ صغير يبعد بضعة شوارع عن البيت الذي احترق. أراد تد أن يدفن القطة في فناء البيت الخلفي، لكن رجال الإطفاء لم يُسلِّموه الجثة قَط. كان البيت الجديد أقل دراميَّة، بلا مدفأة مفتوحة أو شطَّاف تشرب منه القطة، لكن ما الفارق في وجود طفلة كفيفة؟

كيف لا تتأثَّر ريتشل وقد عاشت ستة شهور مع روث القطة المحترق؟ كما قال طبيب التوليد، فإن تلك الطفيليات السامة تهاجم العصب البصري، لكن ريتشل كانت تعرف أن هناك ما هو أكثر. إنه العقاب. لقد أقسمت ريتشل أنها لم ترَ القطة قبل أن تُشعل لهب المدفأة، وقد تقبَّل تد ما قالته دون نقاش.

أحيانًا ما يربط الكذب بين اثنين متزوِّجين أكثر من أي عهودٍ يتلوانها يوم الزفاف.

***

ليلة الأحد تتَّصل ريتشل، وتصر أن يسمعها تد.

تُقسم أن المكالمة التالية التي تجريها ستكون للشرطة، وأنه مالم تقل إپريل شيئًا فستُبلغ مكتب حماية الأطفال.

يُطلق زوجها ضحكة مرتبكة.

- «ماذا تريدينني أن أفعل؟ أقرصها؟»

اقرصها، نعم. اصفعها على مؤخرتها. اجذب شعرها. أي شيء.

يسألها:

- «لنكن واضحين. إذا لم أضرب طفلتي، ستُبلغين حماية الأطفال عني؟»

تهز رأسها في قوة وتقول في حزم:

- «بالضبط.»

تراه بعين الخيال يشرب القهوة من المج الأسود الذي استنقذه من بقايا الحريق. اللون شديد القبح، لكنه يبدو جديدًا تمامًا.

يأتي صوته محمَّلاً بالسخرية:

- «ماذا لو لسعتها بسيجارة؟ هل يُرضيك هذا؟»

- «استخدم إبرة من عدَّة الخياطة، لكن عقِّمها أولًا بالكحول. إنها لم تتلقَّ تطعيم التيتانوس بعد.»

- «لا أصدِّق أنك جادَّة!»

- «لقد ضقت ذرعًا بكلِّ هذا.»

تعرف أنها تبدو كالمجانين الآن. لعل الأوان قد فات أصلاً. لعله التوكسوپلازموزيس وقد أصاب مخها بالفعل، لكنها تعرف أنها جادَّة تمامًا.

***

في الوقت الذي كانت فيه تسوية التأمين ضد الحريق قد تأخَّرت، كان رجال الإطفاء يعتبرون الحريق قد بدأ بفعل فاعل، بعد أن كشفت التحاليل عن وجود بقايا مادة كيميائية في شعر القطة، مادة حارقة أبقت القطة مشتعلة طوال هروعها الأخير المفعم بالعذاب. المثير للريبة أكثر أن ريتشل، قبل أسابيعٍ قليلة من الحريق، كانت قد ضاعفت مبلغ بوليصة التأمين، لكن ريتشل لم تتردَّد -رغم وجود رضيعة معلَّقة بثديها- في توكيل محامٍ وأخْذ القضية إلى المحكمة.

***

ليلة الأحد على الهاتف تقول ريتشل إنها لا تمزح. إما أن يجعل تد ابنتهما تُصدر كلمة ما أو صوتًا ما أو تنتقل المعركة إلى محكمة الأسرة. يبدو لها أن وقتًا طويلاً قد مرَّ، لكن تد يستجيب في النهاية. يأتي صوته من فمٍ بعيد عن السمَّاعة:

- «إپريل يا صغيرتي، هل تذكرين حقنة الإنفلونزا؟ هل تذكرين الحقنة التي أخذتها كي تستطيعي الذهاب للعب في مخيَّم عيد الفصح؟»

صمْت، وتُغلق ريتشل عينيها محاولةً سماع المزيد. تنهض لتُغلق مكيِّف الهواء، لكن قبل أن تتحرَّك يعود صوت تد:

- «هلا أحضرت سلَّة الخياطة لبابا؟»

لا تتبيَّن شيئًا يحدث، لكن فم تد يعود إلى السمَّاعة:

- «هل تشعرين بالرضا؟ هل يُسعدك هذا؟»

تسمع صوت خطواته تبتعد وهو يقول:

- «سأحضر الكحول من الحمَّام لأعذِّب ابنتنا. يمكنك أن توقفي هذا في أيِّ لحظة.»

لكن ريتشل تعرف أن هذا غير صحيح. لا أحد يستطيع إيقاف أي شيء. نزيلا الغرفة المجاورة سيتناكحا دائمًا، القطة المشتعلة ستنطلق كمُذنَّبٍ ناري في كلِّ بيت يعيشون فيه دائمًا. ليست هناك حلول.

يمر برأسها مرَّة أخرى خاطر أن تد يحاول تعذيبها. إپريل في غرفتها أو تلعب في الفناء الخلفي، وهو يتظاهر فقط بأنها هناك.

من الأسهل أن تبتلع هذا عن فكرة كراهية طفلتها لها.

تقول للهاتف:

- «أنت لا تفهمني. أريدك أن تؤلمها لتُثبت أنها حيَّة. أريدك أن تؤلمها لتثبت أنك لا تكرهني.»

وقبل أن يبيع التليفزيون ألفًا أخرى من ساعات اليد الماسيَّة تأتي صرخة إپريل.

ولا تمر لحظة واحدة قبل أن يأتي صوت تد حاملاً اسمها. متقطِّعة الأنفاس هي. أصداء الصرخة تتردَّد في رأسها، وستتردَّد في رأسها إلى الأبد. مواء القطة. صرخة بيلندا كارليسل. الصرخة نفسها التي أطلقتها إپريل عندما وُلدت.

تقول:

- «فعلتَها.»

فيرد:

- «أنتِ صرخت.»

تلك لم تكن صرخة ريتشل أو إپريل. كانت صرخة نكاحٍ أخرى من الغرفة المجاورة. ملك الشطرنج محاصَر. كيس طعام القطة سيظل نصف ممتلئ دائمًا، وسيغش تد دائمًا.

تطلب منه أن يُعطي الهاتف لإيريل.

- «تأكَّد من أنه موضوع على أذنها، ثم أريدك أن تغادر الغرفة.»

***

تقول ريتشل على الهاتف:

- «أبوك لا يفهم. ديونه بضمان ذلك البيت كانت أكبر من قيمة البيت كله، وكان لا بد أن يتخذ أحدنا القرارات الصعبة.»

تشرح لابنتها أن مشكلة الزواج من رعديد غبي كسول أنها قد تظل عالقةً معه طوال بقيَّة حياتها.

- «كان يجب أن أفعل شيئًا. لم أردكِ أن تولدي ميتة وعمياء!»

لا يهم الآن من يُصغي على الجانب الآخر من الخط، تد أم إيريل. هي فوضى أخرى على ريتشل تنظيفها.

تصف كيف ظلَّت كلَّ يومٍ طوال أسابيع تضيف سپراي الشعر الرخيص إلى شعر القطة وهي تُمشِّطه. كانت تعرف أنها تقضي حاجتها في المدفأة، وكانت تأمل أن يكفي المصباح السهَّاري.

أسرفت ريتشل في إطعام القطة كي تقضي حاجتها أكثر، وأملت أن تتكفَّل الكمية الزائدة من غازات البطن التي تُطلقها بإنهاء الأمر.

لم تكن ريتشل ساديَّة. على العكس، لم تكن لديها رغبة في أن تتعذَّب بيلندا كارليسل. تأكَّدت من وجود بطاريات جديدة في أجهزة إنذار الحريق، وانتظرت.

- «أبوك يظن أنه طالما لون الأطباق أسود فإنها لن تتسخ أبدًا.»

في ليلتهما الأخيرة في بيت تد هُرعت ريتشل إلى غرفة المعيشة فرارًا من البرد. كانت قد خفضت درجة الحرارة عمدًا قبل أن يغادرا، على أمل أن يكون المصباح السهَّاري مغريًا كفايةً للقطة، وكي تُحكم الفخ دفنت بعض أسماك التونة بين الجرانيت المسحوق.

في تلك الليلة دخلت الغرفة التي أظلمها ظِل شجرة الكريسماس ولمحت العينين الصفراوين الصغيرتين ترمقانها من المدفأة. كانت ثملة قليلاً، لكنها قالت:

- «أنا آسفة.»

وعلى الهاتف من أورلاندو تقول وهي ثملة تمامًا:

- «لم أكن آسفة.»

ودَّعت ريتشل القطة، وضغطت زر المدفأة. ثم الصرخة المروعة، واللهب يشتعل في ستائر غرفة المعيشة ثم يمتد إلى الطابق العلوي.

في النهاية لم تستطع شركة التأمين أن تُثبت بشكلٍ بات أن بقايا المادة الكيماوية لم تكن من البلاستيك الذي غلَّف الملابس القادمة من التنظيف الجاف.

تقول قولها هذا، وتشعر أن إيريل قد أصبحت غريبة عنها، أصبحت شخصًا مستقلاًّ يجب احترامه ويستحق معرفة الحقيقة. لقد انفصلت إيريل لتصبح شخصًا آخر.

- «تردُّد أبيك هو السبب في أنك لن تري شروقًا أو غروبًا أبدًا.»

صمْت على الجانب الآخر، قد يكون أيهما أو لا أحد منهما. إذا كانت إيريل، فإنها لن تفهم قبل أن تكبر.

- «لم أختر الزواج من أبيك إلا لأنه ضعيف. كنت أعرف أنني أستطيع أن أُسيِّره كما أرغب.»

تقول إن مشكلة السلبيين أنهم يُجبرونك على التصرُّف، وبعدها يكرهونك ولا يسامحونك أبدًا. في تلك اللحظة، وبمنتهى الوضوح ودون مجالٍ للخطأ، تسمع ريتشل صوت بكاء تد. لم يكن هذا جديدًا عليها، لكن هذه المرَّة يرتفع صوت بكائه ويرتفع، ثم تصحبه صرخة طفلة تتألَّم من الهاتف.

لقد نجحت ريتشل، وهو أجبرها وتحكَّم فيها ووجَّهها نحو

إيذاء شيءٍ بريء، والآن أصبحا متعادليْن.

لا تزال صرخة طفلتها وبكاء زوجها يبلغان أذنها عبر الهاتف، وكأنها مسلوبة الإرادة تحاول تخيل المستقبل وهي ترمق ماسة عملاقة تدور على شاشة التليفزيون، وتهمس:

- «تُصبحان على خير.»

نُشرَت في *Kindle Single* في فبراير 2013

العرب وبنات آوي

فرانز كافكا

كنا نُخيِّم في الواحة وقد خلد رفاقي إلى النوم، ومرَّ شبحٌ طويل أبيض لرجلٍ عربي يُعنى بالجِمال في طريقه إلى مكان نومه بدوره.

استلقيتُ على ظهري وسط العُشب محاولًا الاستسلام للنوم لكنني لم أفلح، خصوصًا عندما تعالى عواء أحد بنات آوي على مسافةٍ من المخيَّم، فاعتدلتُ جالسًا من جديد. ثم إن ما كان بعيداً أصبح على حين غرَّة شديد القُرب. كانت بنات آوي محتشدةً حولي بعيونٍ تومض ببريقٍ ذهبيٍّ باهتٍ وأجسادٍ لدنةٍ تتحرَّك في رشاقةٍ وتوازُن كأنما تأتمر بلسعة سوط.

جاء واحدٌ من بنات آوي من خلفي داسًّا نفسه تحت ذراعي ومحتكًّا بي بشدَّة كأنه ينشد الدفء، ثم وقف أمامي وتحدَّث إليَّ وعيناه شبه مثبَّتتين على عيني:

- «إنني أكبر بنات آوي عُمراً ها هنا وعلى مدى البصر،

ويسُرُّني أن التقيت بك أخيراً. لقد كدتُ أفقد الأمل بعد أن انتظرنا مجيئك سنيناً بلا عدد. انتظرتكَ أمي، وأمها من قبلها، وأمها من قبلها، بدايةً من الأم الأولى لجميع بنات آوي. الحق أقول، صدقني!»

ناسياً إشعال كومة الحطب الجاهزة بجواري لإرهاب بنات آوي، قلتُ:

- «هذا مفاجئ لي، وإنني لمندهشٌ حقّاً. إن الصدفة وحدها هي ما جاء بي من الشمال البعيد إلى هنا، كما أنني مجرَّد عابر ببلادكم، فما الذي تريده بنات آوي مني؟»

وكأنما شجَّعها هذا التساؤل الذي أحسب أنه كان ودوداً أكثر من اللازم، التفَّت حلقة بنات آوي حولي وقد طفقن يلهثن بأفواهٍ مفتوحة.

قال أكبرهن:

- «نعرف أنك جئت من الشمال، وهذا ما بنينا آمالنا عليه. إنكم أيها الشماليون تتمتَّعون بنوع من الذكاء لا يمكن العثور عليه بين العرب. دعني أقول لك إنه لا توجد شرارة ذكاءٍ واحدة يمكن إشعالها من جلافتهم وغطرستهم الباردة. إنهم يقتلون الحيوانات ليأكلونها،

أما الجيفة فينبذونها.»

قلتُ:

- «لا تتكلَّم بصوتٍ عالٍ هكذا، فثمَّة بعض العرب النائمين على مقربةٍ من هنا.»

قال ابن آوي:

- «أنت غريب هنا حقًّا، وإلا لكنتَ عرفتَ أن لا أحد من بنات آوي عبر تاريخ العالم كله شعر بالخوف من عربي. ولِمَ نخافهم؟ أليس طالعنا سيئًا بما يكفي لأن نعيش منفيين بين مخلوقاتٍ كهذه؟»

عقَّبتُ:

- «ربما، ربما، فجهلي بأمور البلاد البعيدة عني يجعلني عاجزًا عن الحُكم عليها كما ينبغي. يبدو لي أن نزاعكم نزاع شديد القِدَم، ولعله يسري في دمائكم كذلك، وقد لا ينتهي إلا بالدم.»

قال ابن آوي الأكبر: «إنك شديد الذكاء،» ثم بدأ القطيع كله في اللهاث بسرعةٍ أكبر، وبدأ الهواء يخرج من رئاتهن كثيفًا رغم وقفتهن الثابتة، وقد انبعثت من فكوكهن رائحة كريهة اضطرَّتني للضغط على أسناني في أحيانٍ كي أحتملها.

- «إنك شديد الذكاء بحق، فما قلته حالاً يتفق تمام الاتفاق مع تقاليدنا العتيقة. سوف نريق دماءهم وينتهي النزاع.»

قلت بلهفةٍ أكبر مما أردت:

- «لكنهم سيدافعون عن أنفسهم، وسيُردُونكم بالعشرات ببنادقهم.»

قال:

- «لقد أسأت فهمنا. يبدو أن ثمَّة نوع من الضَّعف البشري يسود في الشمال البعيد كذلك. إننا لا نقترح أن نقتلهم، فمياه النيل كلها لا يمكنها تطهيرنا من فعلةٍ كهذه. إن مجرَّد مرآهم يجعلنا نُولِّي الأدبار إلى بقاعٍ الهواء فيها أنقى، إلى الصحراء، التي هي وطننا لهذا السبب بالتحديد.»

ثم إن جميع بنات آوي الحاضرات -بما فيهن أعداد أكبر جاءت من مسافاتٍ بعيدة- وضعن أنوفهن بين قوائمهن الأمامية وأخذن يلعقنها بكفوفهن كأنهن يحاولن إخفاء نوعٍ من الاشمئزاز قويٍّ بما لا يُقاس.

سألتُ محاولاً الوقوف على قدميَّ: «ماذا تنتوون إذن؟»، لكني لم أستطع النهوض، إذ غرس اثنان صغيران من بنات آوي

أسنانهما في معطفي وقميصي، فاضطررت لأن أظل جالسًا.

قال ابن آوي الأكبر في جديَّة تامة:

- «هذه علامة على التكريم.»

صحتُ وأنا ألتفت إلى ابن آوي الأكبر تارة وإلى الصغيرين تارة:

- «أريدهما أن يبتعدا!»

- «سيبتعدا بالطبع إذا كانت هذه رغبتك، لكن هذا سيستغرق بعض الوقت، لأن أسنانهما مغروسة على عُمقٍ كما تنص أعرافنا، وعليهما تحرير فكوكهما أولًا. لكن في تلك الأثناء أريدك أن تُصغي لمطلبنا.»

- «لكن سلوككم لا يُزيدني رغبةً في تلبيته.»

قال وقد تبدَّى الحزن في نبرة صوته للمرَّة الأولى:

- «لا تحمل علينا كوننا نتسم بالخَرَق، فنحن مخلوقات مسكينة لا تملك شيئًا إلا أسنانها، وأيًّا كان ما نريد أن نفعله -خيراً كان أو شراً- فلا نفعله إلا بأسناننا.»

قلتُ في غير راحة:

- «حسن، ماذا تريدون إذن؟»

هتف وبقية بنات آوي تعوي في ما بدا لي كلحنٍ يجيء من بعيد:

- «سيدي، نريد منك أن تضع نهايةً لهذا الصراع الذي يُقسِّم العالم تقسيمًا. إنك أنت الرجل الذي تنبَّأ أسلافنا بأنه سيولد كي يقوم بهذه المهمة بالتحديد. لا نريد أن يقض العرب علينا مضاجعنا بعد الآن، نريد مساحة لنتنفَّس، أُفُقًا خاليًا منهم. نريد ألا نسمع ثغاء الغنم التي يذبحها العرب مرَّة أخرى، أن يموت كل حيوانٍ ميتة طبيعية دون تدخُّل، إلى أن نأتي على الجيفة كلها فلا نترك منها إلا العظام نظيفة بيضاء من غير سوء. النظافة ولا شيء غيرها هي ما نبغي. (والآن بدأ قطيع بنات آوي في النواح والعويل) كيف يمكنك احتمال العيش في عالمٍ كهذا يا صاحب القلب النبيل والأمعاء الطيبة؟ إن القذارة بياضهم، والقذارة سوادهم. لحاهم تثير الرعب، ومجرَّد رؤية محجر عين الواحد منهم تثير فيك الرغبة في البصاق، وعندما يرفع أحدهم ذراعه تجد ظلمات الجحيم تتثاءب تحت الإبط. لهذا -أيها السيد الطيب، أيها السيد المبجَّل- نريد منك أن تجزَّ أعناقهم بهذا المقص!»

ولوَّح برأسه فجاء واحد من بنات آوي حاملاً بين فكيه مقص

خياطة صغيراً غلَّفه الصدأ يتدلى من نابٍ طويل.

- «إذن ها هو المقص أخيراً، وفي الوقت المناسب!» صاح بها فجأةً قائد المجموعة العربية الذي كان قد زحف نحونا ضد اتجاه الريح، والآن كان يُلوِّح بسوطه في الهواء. ولَّت بنات آوي هاربةً، وإن تجمَّعت في حشدٍ متقارب الأجساد على مقربةٍ منا كأن حزاماً خفيًّا طوَّقها بمجرَّد أن أخذ العربي يلسع الفراغ بالسوط.

قال العربي ضاحكًا بأكبر قدرٍ من المرح يسمح به تحفُّظ بني قومه:

- «إذن فقد شهدتَ أنت أيضًا فقرة التسلية هذه يا سيدي.»

سألته:

- «أتعرف ما يُردن إذن؟»

أجاب:

- «بالطبع. إنها حكاية متداوَلة معروفة: طالما بقي العرب سيبقى المقص يجوب الصحراء، وسوف يجوبها معنا إلى نهاية أيامنا. إنه يُعرَض دائمًا على كلِّ أوروبي يأتي إلى هنا، وكل أوروبي لديهم هو المختار الذي أرسلته الأقدار لهم. هذه الحيوانات

لديها أكثر الآمال طيشًا وجنونًا. إنهم حمقى، حمقي لا مثيل لهم، ولهذا السبب نحب بنات آوي، فهي كالكلاب الأليفة بالنسبة لنا؛ كلاب أفضل مما لديكم بكثير بالمناسبة. راقب ما سيحدث الآن. لقد مات لنا جمل ليلة أمس وطلبت إحضار جثته إلى هنا.»

جاء أربعة رجال حاملين الجثة الثقيلة وألقوها أمامنا، ولم تكن الجثة قد لمست الأرض بعد عندما رفعت بنات آوي أصواتها بالعواء، وكأن حبلاً يسحبها بدأت تزحف إلى الأمام في تردُّدٍ على بطونها. نسيت بنات آوي العرب، نسيت البغضاء التي تحملها وقد سحرها حضور الجيفة نتنة الرائحة تمامًا. كان أحدها الآن متشبِّثًا بعنق الجمل الميت بالفعل وقد غرس أسنانه حتى آخرها في أحد الشرايين، وكمضخةٍ قويةٍ صغيرة تحاول بكل ما لديها من عزمٍ وأملٍ إطفاء حريق متأجِّج، أخذت كل عضلةٍ في جسد ابن آوي ترتعش وتتقلَّص مع المجهود الذي يبذله في افتراس الجثة؛ ولم تمض إلا لحظاتٍ قبل أن يعتلي القطيع كله الجثة متكوِّمًا فوق بعضه البعض كأنه جبل شاهق.

بدأ قائد القافلة يهوي بالسوط على ظهور بنات آوي، وقد بدت تلك كأنها على وشك السقوط في إغماءة من فرط النَّشوة، وعندما

رأين العرب واقفين أمامهن وشعرن بلسعة السوط على أجسادهن، لُذن بالفرار. لكن دم الجمل كان قد سال بِركًا بِركًا بالفعل وفاحت رائحته العفنة، وتمزَّقت الجثة وتشوَّهت في غير موضع.

لم تستطع بنات آوي المقاومة وعُدن مرَّة أخرى، فرفع العربي سوطه من جديد، إلا أنني أمسكت ذراعه، فقال:

- «ليكن يا سيدي، سنتركهن وشأنهن. كما أننا يجب أن نتحرَّك الآن على كلِّ حال. مخلوقات مدهشة بنات آوي تلك، أليس كذلك؟ ولكم تمقتنا!»

نُشرَت في الأعمال القصيرة الكاملة

العائلة النوويَّة

ألكس شڤارتسمان

قال دادي إننا لا نستطيع وضْع شجرة حقيقيَّة هذا الكريسماس.

شعرتُ بالحزن في البداية، لكن مامي قالت إننا سوف نرتجِل.

نر-تـ-جل. أحب تعلُّم الكلمات الكبيرة. هذه تعني أن نستخدم الأشياء الموجودة لدينا في البيت؛ وأبي وأمي يرتجلان طوال الوقت منذ صرنا لا نستطيع الخروج.

صعد دادي إلى أعلى ليجد بعض الأشياء التي سنرتجل بها. أردت أن أساعده، لكن دادي قال إننا يجب أن نبقى جميعًا في القبو لمدَّةٍ طويلة للغاية كي لا نمرض. إنني أكره القبو، فلا يوجد ما أفعله هنا على الإطلاق. تصعد مامي ودادي إلى أعلى كل بضعة أيام ويعودان حاملين بعض أشياء معهما، عادةً ما تكون طعامًا أو ورق حمَّام أو ما إلى ذلك، وأحيانًا ما تكون كُتُبًا أو دُمى أو لُعَبًا من حجرتي. يصعدان وينزلان السلالم بأقصى سرعةٍ لديهما، لأنه من

الممكن أن يمرضا بدورهما إذا ظلا بالأعلى لفترةٍ طويلة.

غاب دادي خمس دقائق تقريبًا هذه المرَّة، لكنه عاد حاملاً أشياء كثيرة. وضع مشجب معاطف طويلاً في منتصف القبو لعمل جذع الشجرة، وألصق به بعض العِلاقات المعدنية بعد أن فرَدها لتكون بمثابة الفروع، وأعطاني مفرش مائدة أخضر وقال لي أن أقطِّعه إلى شرائط طويلة رفيعة، ثم إننا ألصقنا الشرائط بالعِلَّاقات المعدنية وأضفنا بعض الزينة. لم تبدُ النتيجة النهائية كشجرةٍ حقيقية، لكن مامي قالت أن نستخدم خيالنا. لم أمانع، فقد أعطاني تزيين مشجب المعاطف شيئًا أفعله على الأقل.

ثم إننا أخذنا الحبوب المضادَّة للإشعاع، لكني أسقطت حبتي على الأرض وأصيب دادي بغضبٍ شديد، وقال إن ما لدينا بالفعل لا يكفينا أصلاً حتى يصبح الخروج آمنًا، ولا يمكننا تبديد أيها.

جعلني أبي ألتقط حبتي من على الأرض وأبتلعها... يَك!

حرَّكنا الطاولة بالقرب من الشجرة الزائفة عشية الكريسماس وأكلنا وجبة العيد. أعدَّت أمي قِدرًا كبيرة من يخنة اللحم المعلَّب، وكان مسموحًا لكلٍّ منا تلك الليلة أن يتناول طبقًا ثانيًا لأنها مناسَبة خاصة للغاية. بل إننا تناولنا شرائح الخوخ على سبيل

طبق الحلو كذلك. لم يأكل دادي ومامي الكثير منها، وقالا إنها مكافأة خاصَّة لي، لكنهما جرَّبا بعضها على كلِّ حال لأنها كانت العلبة الأخيرة، وقال أبي إنه ليس واثقًا متى سنذوق الخوخ مرَّة أخرى. أسكتته أمي، ثم بدأنا في غناء جميع أغاني الأعياد التي نذكرها.

لم يكن دادي هناك عندما استيقظنا في الصباح. قالت أمي إنه اضطر للخروج بعض الوقت، لكن طريقة بكائها أنبأتني بأنه غالبًا لن يعود. شعرتُ بالخوف، فقالت لي أمي أن أذهب لأفتح هداياي.

تحت شجرة الكريسماس الزائفة كانت هناك بضعة أشياء، وإن كانت كلها من لعبي القديمة التي أتيا بها من أعلى، وكانت هناك أيضًا علبة صغيرة بها حصَّة أبي من الحبوب المضادة للإشعاع.

سخيفٌ أبي! من يريد حبوبًا كهديَّة؟

نُشرَت في مجلة *Kasma SF* في 2012

نحن الثلاثة

دين كونتز

1

انتهينا -چوناثان وچيسيكا وأنا- من دحرجة أبينا على أرضيَّة غرفة الطعام، ثم عبر المطبخ الفاخر ذي الطراز الإنجليزي القديم. بشيءٍ من العُسر أخرجناه من الباب الخلفي لأنه كان صَلبًا بعض الشيء، وهذا بالمناسبة ليس تعليقًا على سلوكه أو حالته المزاجية -على الرغم من أنه كان يتحوَّل إلى وغدٍ بارد المشاعر كلما أراد- بل مجرَّد وصف لحالة تيبُّس ما بعد الوفاة التي شدَّت عضلاته وجعلت لحمه أكثر صلابة. لم يعقنا ذلك على كلِّ حال، إذ ظللنا نركله حتى تقوَّست الجثة من المنتصف فدفعناها عبر إطار الباب، ثم جرَّرناها عبر الشُّرفة ونزلنا بها الدَّرجات الست إلى الحديقة.

قال چوناثان بأنفاسٍ متسارعة وهو يمسح حبَّات العَرَق المتكاثِفة عن جبينه:

- «إنه يزن طنًّا!»

قالت چيسيكا:

- «ليس طنًّا، بل أقل من مائتي رطل.»

على الرغم من كوننا توائم ثلاثة نتشابه في أشياءٍ كثيرة على نحوٍ يثير الدهشة، إلا أن كلاًّ منا يختلف عن الآخر في حشدٍ من التفاصيل الصغيرة، فعلى سبيل المثال تُعد چيسيكا الأكثر عمليَّة بيننا، بينما يحب چوناثان المبالغة والخيال والاستغراق في أحلام اليقظة، أما أنا فأقع في منطقةٍ وسط بين الطرفين.

عمليٌّ مستغرقٌ في أحلام اليقظة ربما؟

سأل چوناثان وقد انقلب وجهه في اشمئزاز وهو يومئ برأسه نحو الجثة القابعة على العشب:

- «والآن ماذا؟»

قالت چيسيكا في بساطة:

- «نحرقه.»

كانت شفتاها الدقيقتان بمثابة خطٍّ مرسومٍ بالقلم الرصاص على وجهها الجميل، وقد انعكست أشعة شمس الصباح على شعرها الأصفر الطويل لتجعله يتألَّق. كان طقس اليوم جميلاً بحق، وكانت هي أجمل ما فيه.

- «نحرقه عن آخره.»

- «ألا يجدر بنا أن نسحب أمنا من الداخل أيضًا ونحرقهما معًا؟ سيوفِّر هذا علينًا عملاً كثيراً.»

- «إذا صنعنا محرقة كبيرة سيتصاعد اللهب عالياً أكثر من اللازم، ولسنا نريد أن تُمسك شرارة ضالَّة بالبيت فتأتي عليه النار.»

- «إن بيوت العالم كله متاحة لنا!»

كان چوناثان القائل وقد فرد ذراعيه مشيراً إلى المنتجع الساحلي حولنا، وولاية ماساتشوستس من وراء المنتجع، وبقية البلاد من وراء حدود الولاية، والعالم من وراء كلِّ هذا.

ظلَّت چيسيكا تحملق فيه دون أن ترد، فالتفت لي قائلاً:

- «أليس كذلك يا چيري؟ ألا يمكننا سُكنى أي مكانٍ في العالم؟ أليس من السخف أن نقلق بشأن بيتٍ قديمٍ واحد؟»

غمغمتُ:

- «هذا صحيح.»

قالت چيسيكا في إصرار:

- «أنا أحب هذا البيت.»

ولأن چيسيكا أحبَّت هذا البيت بالذات، فقد وقفنا على بُعد خمسة عشر قدمًا من الجثة الممدَّدة ورمقناها مفكِّرين في اللهب، فاشتعل فيها في غمضة عين. هبَّت النيران من العدم ولفَّت أبانا بدثارٍ برتقالي محمر، ولم يمض وقت طويل قبل أن تستحيل الجثة إلى رماد.

قال چوناثان:

- «أشعر أنه من المفترَض أن أكون حزينًا.»

كشَّرت چيسيكا في وجهه، فاستطرد:

- «لقد كان أبانا.»

قالت چيسيكا وهي ترمقنا في قسوةٍ كفيلة بجعلنا نستوعب ما تقوله تمامًا:

- «نحن أسمى من تلك العواطف الرخيصة. إننا جنس جديد بمشاعرٍ جديدة وسلوكٍ جديد.»

غمغم چوناثان في اقتناعٍ غير تام:

- «أظن هذا.»

- «والآن لنُحضِر أمنا من الداخل.»

رغم أنها في العاشرة من عمرها فحسب -وأصغر من چوناثان

بستٍّ دقائق ومني بثلاث- فإن چيسيكا هي أقوانا، وعادةً ما تفعل ما تريد.

هكذا عُدنا إلى الداخل لنُخرج جثة أمنا.

2

كانت الحكومة قد كلَّفت فِرقة مُكوَّنة من دستةٍ من رجال المارينز وثمانية من العملاء الفدراليين ذوي الملابس المدنيَّة بالتمركُز عند بيتنا، وقد زعموا أنهم هنا لحراستنا وحمايتنا من الأذى، لكن السبب الوحيد لوجودهم في الحقيقة كان التأكُّد من بقائنا مسجونين. عندما فرغنا من حرق أمنا بدأنا في جرِّ الجثث العشرين الأخرى وحرقها واحدةً تلو الأخرى. كان چوناثان مرهَقًا تمامًا الآن، فجلس بين هيكلين عظميين يتصاعد منهما الدخَّان ومسح العَرَق والرماد عن وجهه قائلًا:

- «لعلنا ارتكبنا خطأً كبيراً.»

بنبرةٍ دفاعيَّة قالت چيسيكا:

- «خطأً؟»

- «ربما لم يكن يجدر بنا أن نقتلهم كلهم.»

ضربت چيسيكا الأرض بقدمٍ واحدة فتراقصت حلقات شعرها الذهبيَّة الجميلة.

- «أنتَ أحمق يا چوناثان! إنك تعرف ماذا كانوا سيفعلون بنا. عندما اكتشفوا مدى تنوُّع قوانا وسرعة اكتسابنا قوى جديدة فهموا أخيرًا الخطر الذي نُمثِّله. كانوا سيقتلوننا.»

- «كان من الممكن أن نقتل قِلَّة منهم فقط لنثبت قوتنا. هل كان من الضروري أن نأتي عليهم جميعًا حقًّا؟»

تنهَّدت چيسيكا وقالت:

- «اسمع، لقد كانوا كسُكَّان الكهوف مقارنةً بنا. إننا جنس جديد بمشاعرٍ جديدة وسلوكٍ جديد. بل إننا الأوائل من نوعنا عبر التاريخ. لكن تذكَّر أنهم لم يكونوا بذلك الضَّعف رغم كلِّ شيء، وكانت فرصتنا الوحيدة أن نتحرَّك دون إنذار، وهذا ما فعلناه.»

تطلَّع چوناثان إلى رُقع العشب المحترقة حولنا قائلاً:

- «سنضطر للقيام بعملٍ كثير للغاية! لقد استغرقنا النهار كله في التخلُّص من هذا العدد القليل، ولن نستطيع تنظيف بقية العالم منهم أبدًا.»

- «لن يمضي وقت طويل قبل أن نتعلَّم رفع الأشياء في الهواء.

إنني أشعر ببذرة هذه القوة تتكوَّن بداخلي بالفعل. ومن يدري؟ قد نتعلَّم كيف ننقلهم من مكانٍ إلى آخر بمجرَّد التفكير. سيجعل هذا الأمور أسهل كثيراً. كما أننا لن نُنظِّف العالم كله بالطبع؛ فقط المناطق التي نرغب في الإقامة بها خلال السنوات القليلة القادمة، وحتى ذلك الحين سيكون الطقس والفئران قد قاموا بهذا العمل بدلاً منا على كلِّ حال.»

غمغم چوناثان:

- «أظنك على حق.»

كنت أعرف أن الشكوك لا تزال تخالجه، وكنت أشاركه بعضها كذلك. إننا نحن الثلاثة -من غير ريب- أعلى في سلسلة التطوُّر من كلِّ من جاءوا قبلنا. إننا نقرأ الأفكار ونتنبَّأ وقادرون على تجارب الخروج من الجسد متى أردنا، ونجيد حيلة النيران هذه، حيث نحيل طاقة الأفكار إلى جحيمٍ حقيقي متأجِّج. يستطيع چوناثان التحكُّم في تدفُّق التيارات المائيَّة الصغيرة، وهي الموهبة التي يجدها شديدة التسلية كلما حاولت أن أتبوَّل، ما أعزوه إلى استمتاعه بالدعابات الطفوليَّة على الرغم من كونه واحداً من أبناء الجنس الجديد. تستطيع چيسيكا التنبُّؤ بحالة الجو بدِقَّة، بينما

أتمتَّعُ أنا بموهبة التقمُّص العاطفي مع الحيوانات، حيث تأتي إليَّ الكلاب والقطط والطيور وغيرها من الحيوانات الأخرى. طبعًا كل هذا يأتي بالإضافة إلى استطاعة ثلاثتنا إنهاء حياة أيِّ حيوانٍ أو نباتٍ بمجرَّد التفكير في موته، وهو ما فعلناه عندما فكَّرنا في موت بقيَّة البشر جميعًا. إذا وضعنا نظريات داروين في الاعتبار، فلعله كان مقدورنا أن نُدمِّرهم بمجرَّد أن نمت لدينا تلك القدرة. من يدري؟

لكنني -رغم كلِّ شيء- لا أستطيع تخليص نفسي من الشكوك...

أشعر أننا، بشكلٍ أو بآخر، سوف نعاني جرَّاء تدمير الجنس البشري القديم...

- «هذا تفكير متخلِّف.»

صدرت العبارة من چيسيكا التي قرأت أفكاري بالطبع. إن مواهبها التخاطُرية لأقوى وأكثر تطوُّرًا مني وچوناثان في آنٍ واحد.

- «إن موتهم لا يعني شيئًا، ولا يمكننا الشعور بالندم بسببه. إننا البشر الجُدُد، بمشاعرٍ جديدة وآمالٍ جديدة وأحلامٍ جديدة

وقواعدٍ جديدة.»

- «بالتأكيد. أنتِ على حق.»

3

يوم الأربعاء ذهبنا إلى الشاطئ وأحرقنا جثث المرتادين. إننا نحن الثلاثة نحب البحر، ولا نرغب أن تمتد الرمال الفاسدة -إثر الجثث المتعفِّنة- أمامنا.

كنا نشعر بالإرهاق، چوناثان وأنا، بعد أن انتهينا، لكن چيسيكا أرادت أن نفعل كما الكبار.

قال چوناثان:

- «الأطفال في سننا لا يقدرون على ذلك.»

- «لكننا نقدر. وأنا أريد هذا، الآن.»

هكذا فعلنا كما الكبار؛ چوناثان وهي أولًا، ثم أنا وهي. كانت تريد المزيد، لكن لا أحد منا كان قادرًا على الانصياع.

تمدَّدت چيسيكا على الشاطئ وجسمها الأبيض النحيف لا يختلف في لونه كثيراً عن لون الرمال البيضاء، وقالت:

- «سننتظر إذن.»

- «ننتظر ماذا؟»

- «أن تستعدَّا مرَّة أخرى.»

4

بعد أربعة أسابيع من نهاية العالم كنت وحدي مع چوناثان على الشاطئ نأخذ حمَّام شمس، وقد لاذ هو بالصمت لفترةٍ طويلة، كأني به خائف من أن يفتح فمه ويتكلَّم.

أخيرًا قال:

- «هل تظن أنه من الطبيعي لفتاةٍ في سنها أن تكون... تكون راغبة طوال الوقت هكذا؟ حتى إذا كانت من الجنس الجديد؟»

- «كلا»

- «.إنها تبدو... عازمة.»

- «نعم.»

- «ثمَّة هدف ما لديها لا نُدركه.»

كان على حقٍّ، وكنت أشعر بهذا أيضًا...

- «هذه مشكلة.»

- «ربما.»

- «هناك مشكلة في الطريق، أؤكِّد لك.»

- «ربما. لكن ما نوع المشاكل الذي قد يقع بعد نهاية العالم؟»

5

كان شهران قد مرَّا على نهاية العالم وحرق أبوينا، عندما صار مَلَلِي وچوناثان من البيت بالغًا، ورغبتنا في الخروج واستكشاف مناطق أخرى جديدة شديدة.

في هذا الوقت اختارت چيسيكا إطلاعنا على الخبر الكبير.

- «لا يمكننا المغادرة بعد، ولا يمكننا المغادرة قبل شهورٍ طويلة. إنني حامل.»

6

أدركنا وجود ذلك الوعي الرابع عندما كانت چيسيكا في شهر الحَمل الخامس. يومها استيقظنا كلنا في منتصف الليل غارقين في العَرَق شاعرين بالغثيان وقد أحسسنا بوجود هذا الشخص الجديد.

قال چوناثان:

- «إنه ولد.»

قلت وجسدي يرتجف من الوقْع النفسي للوافد الجديد:

- «نعم. ورغم أنه لا يزال بداخلك يا چيسيكا، فهو واعٍ. إنه لم يولد بعد لكنه واعٍ تمامًا.»

كانت چيسيكا ترتجف ألمًا، وأخذت تئن في ضَعف.

7

قالت چيسيكا في إصرار:

- «سنكون والطفل سواسية، ولن يكون أعلى منا، ولا أريد أن أسمع مزيدًا من هرائك يا چوناثان.»

كانت هي نفسها طفلة، لكن بطنها كانت منتفخة بالطفل الذي تحمله، ومع مرور كل يومٍ كان شكلها يصبح أكثر غرابة.

قال چوناثان:

- «وكيف تعرفين أنه ليس أعلى منا؟ لا أحد منا يستطيع قراءة أفكاره أو...»

- «الأنواع الجديدة لا تتطوَّر بتلك السرعة.»

- «حقًّا؟ وماذا عنا؟»

- «كما أنه آمِن، فقد جاء منا.»

يبدو أنها حسبت أن ذِكر هذه الحقيقة يجعل نظرية چوناثان أكذوبة...

- «ونحن جئنا من أبينا وأمنا، فأين هما الآن؟ ماذا لو لم نكن نحن الجنس الجديد؟ ماذا لو كنا مجرَّد حلقة وسطية عابرة؛ مرحلة الشرنقة بين دودة القز والفراشة؟ لعل الطفل هو...»

قاطعته في إصرار وهي تُربِّت على بطنها بكلتا يديها:

- «ليس هناك ما نخشاه من الطفل. وحتى لو كان ما تقوله صحيحًا، فإنه بحاجةٍ إلينا من أجل استمرار النسل.»

- «يحتاج إليك أنت، وليس إلينا.»

جلست أستمع إلى جدلهما دون أن أدري ماذا أقول أو أفكِّر. في الحقيقة، كنت أجد في الأمر كله تسلية لا شكَّ فيها بالرغم من المخاوف التي تعتمل بداخلي. حاولت أن أجعلهما يريا ما في الأمر من طرافة فقلت:

- «لعلنا مخطئين في تصوُّر المسألة. لعل الطفل هو المجيء الثاني، ذلك الذي كتب عنه ييتس في قصيدته، الوحش الذي يمشي متثاقلاً نحو بيت لحم كي يولد.»

لم يضحك أيهما.

قال چوناثان:

- «لست أطيق ييتس هذا أبدًا.»

أمنت چيسيكا على كلامه قائلة:

- «نعم. إنه حمار كئيب حقًّا. على كلِّ حال، نحن أعلى من تلك الخرافات. إننا البشر الجُدُد، بمشاعرٍ جديدة وآمالٍ جديدة وأحلامٍ جديدة وقواعدٍ جديدة.»

وقال چوناثان:

- «هذا تهديد حقيقي يا چيري، ولا مجال للمزاح بشأنه.»

وبدأ الشجار والصراخ في وجه بعضهما البعض من جديد، تمامًا كما كان أبونا وأمنا يفعلان عندما يعجزان عن تدبير مصاريف المنزل.

ثمَّة أشياء لا تتغيَّر أبدًا.

ظلَّ الوافد الجديد يوقظنا عدَّة مرَّاتٍ كل ليلة كأنه يستمتع بإقلاق راحتنا. في الشهر السابع من حَمل چيسيكا، نحو الفَجر،

استيقظ ثلاثتنا فجأةً وقد ضربتنا صاعقة من طاقة الأفكار انصبَّت من الكيان القادم من رَحِمها.

قال چوناثان:

- «أعتقد أنني أخطأت.»

سألته وأنا أراه بالكاد في ظلام الغرفة:

- «في ماذا؟»

- «إنها فتاة وليس ولداً.»

حرَّرت عقلي محاولًا التقاط صورة للكائن الذي في بطن چيسيكا لكنه قاومني بقوة، تمامًا كما قاوم الاتصال العقلي من چوناثان وچيسيكا، وإن كنت واثقًا من أنه ذَكَر وليس أنثى.

اعتدلت چيسيكا جالسة وأسندت ظهرها إلى ظهر الفراش وكلتا يديها على بطنها التي تتحرَّك.

- «كلاكما مخطئ. أعتقد أنه ولد وبنت في الآن ذاته، وربما لا هذا ولا ذاك.»

أشعل چوناثان المصباح المجاور للفراش في البيت الذي على الشاطئ وقال:

- «ما معنى هذا؟»

بدى الألم على وجهها إذ ركلها الكائن من الداخل بقوة وقالت:

- «إنني على اتصالٍ به أكثر منكما معًا. إنه ليس مثلنا.»

قال چوناثان:

- «كنتُ على حقٍّ إذن.»

لم تُعلِّق چيسيكا، فتابع:

- «إذا كان ذَكَرًا وأنثى في آنٍ واحد، أو ليس من أي الجنسين، فإنه لا يحتاجنا على الإطلاق.»

ثم أطفأ المصباح مرَّة أخرى، ولم يكن هناك ما يمكن فعله...

قلت:

- «ربما يمكننا أن نقتله.»

فقالت چيسيكا:

- «لن نستطيع. إنه قوي للغاية.»

وقال چوناثان:

- «رباه! إننا لا نستطيع قراءة أفكاره حتى. إذا كان يستطيع مقاومتنا نحن الثلاثة هكذا، فلا ريب أنه يستطيع حماية نفسه من أيِّ شيء.»

قالت چيسيكا وأصداء الهرطقة تتردَّد في الغرفة:

- «لا تستخدم تلك الكلمة مرَّة أخرى. إنها أدنى منا. نحن الجيل الجديد، بمشاعرٍ جديدة ومعتقداتٍ جديدة وقواعدٍ جديدة.»

غمغمتُ:

- «لن يدوم هذا إلا شهرًا واحدًا على الأكثر.»

نُشرَت في مجموعة *Strange Highways* عام 1995

مذكِّرات حلاق جناب الفوهرر

وودي آلن

أعتقد أن فيضان الأشياء المكتوبة عن الرايخ الثالث الذي لا يتوقَّف أبدًا سوف يستمر مع مذكِّرات فريدريك شميد، التي من المزمع نشرها قريبًا. كان شميد، وهو أشهر حلاق في ألمانيا في زمن الحرب، يقوم بخدمات الحلاقة لهتلر وغيره من كبار رجال الحكومة والجيش. وكما لوحظ في محاكمات نورمبرج، فإن شميد لم يكن دائمًا في المكان المناسب في الوقت المناسب فحسب، بل كان يملك أيضًا استعادةً كاملةً للأحداث كلها، ومن ثم كان مؤهَّلًا تمامًا لكتابة هذا الدليل المفصَّل إلى أعمق أسرار ألمانيا النازية.

وفي ما يلي بعض المقتطفات من مذكِّراته:

في ربيع 1940 توقَّفت مرسيدس سوداء كبيرة أمام دكاني، ودخل هتلر قائلًا:

- «أريد تشذيبًا خفيفًا لشعري، ولا تقص الكثير من أعلى

الرأس.»

قلت له إن عليه أن ينتظر قليلاً لأن ريبنتروب -وزير الخارجية- كان قد جاء قبله، فقال هتلر إنه في عجلة، وطلب من ريبنتروب أن يسبقه، لكنه رفض قائلا إن هذا سيبدو سيئا في حق وزارة الخارجية إذا أخذ أحدهم دوره. هكذا أجرى هتلر مكالمة هاتفيَّة، وفي الحال تم نقل ريبنتروب إلى القوات الألمانية في إفريقيا، وقصَّ هتلر شعره.

كان هذا النوع من المنافسات يحدث طوال الوقت، فذات مرَّة أصدر جورينج -مؤسِّس الچستاپو- أمرًا للشرطة بأن تحتجز هايدريتش -قائد الأمن العام- بتهمةٍ ملفَّقة، لأنه أراد أن يجلس في الكرسي المجاور للنافذة. كان جورينج منغمسًا تمامًا في الملذات، وكثيراً ما كان يجلس ليحلق على الحصان الخشبي الخاص بحلاقة الأطفال، الشيء الذي دأب على إصابة القيادة النازية العليا بالحرج، وإن كانت لم تستطع أن تفعل شيئًا حياله.

ذات مرَّةٍ تحدَّاه هس -نائب هتلر- قائلاً:

«أريد أن أجلس على الحصان الخشبي يا سيادة الفيلد مارشال.»

فقال جورينج في حدة:

- «مستحيل. لقد حجزته لنفسي.»

- «لديَّ أمر مباشر من الفوهرر ينص على السماح لي بالجلوس على الحصان الخشبي لأحلق.»

وأخرج هس خطابًا من هتلر يؤكِّد ما قاله، الأمر الذي أصاب جورينج بصدمة ولم يسامح هس قط، وقال إنه سيجعل زوجته تحلق شعره في البيت من الآن فصاعدًا. ضحك هتلر عندما سمع هذا، لكن جورينج كان جادًا، وكان ليتمادى أكثر لولا أن رفض وزير الحربية طلبه باستعارة مقص من ترسانة الدولة.

لقد سُئلت إن كنت مدركًا للسقطة الأخلاقية التي تمثَّلت في عملي هذا، لكن، كما أوضحت لهيئة المحكمة في نورمبرج، فإنني كنت أجهل أن هتلر نازي، والحقيقة أنني اعتقدت لسنواتٍ أنه يعمل موظفًا في هيئة الاتصالات. وعندما اكتشفت أخيرًا أي وحش آدمي هو، كان الأوان قد فات على فعل أيِّ شيء، لأنني كنت قد دفعت عربونًا لشراء بعض الأثاث بالفعل.

ذات مرَّة، قُرب نهاية الحرب، فكَّرت في أن أرخي الملاءة الملفوفة حول عنق الفوهرر بعض الشيء كي تسقط بعض الشعيرات

الصغيرة داخل سترته، لكن أعصابي لم تحتمل وتراجعت في اللحظة الأخيرة.

في يومٍ في برختسجادن التفت لي هتلر وقال:

- «هل سيبدو شكلي جيدًا إذا ربَّيت سوالفي؟»

ضحك شپير -مدير الإنتاج الحربي- على السؤال، وهو ما جعل هتلر يشعر بالإهانة، فعقَّب:

- «أنا جاد تمامًا يا هر شپير، أعتقد أن شكلي سيكون أفضل بالسوالف.»

اندفع جورينج -ذلك المهرِّج الوضيع- مؤمِّنًا في سرعة:

- «الفوهرر يربي سوالفه. يا لها من فكرة رائعة!»

لكن شپير واصل رفضه، إذ كان في الحقيقة الوحيد الذي يملك ما يكفي من المصداقيَّة مع النفس لأن يقول للفوهرر إنه يحتاج إلى أن يحلق شعره، وقال مفسِّرًا:

- «السوالف تُعطي شكلاً مبهرجًا أكثر من اللازم، وأراها تناسب تشرشل أكثر.»

شعر هتلر بالسخط، وأراد أن يعرف إن كان تشرشل يُفكِّر في تربية سوالفه؛ وإن كان سيفعل، فكم سالفًا سوف يُربِّي ومتى؟

هكذا تم استدعاء هملر -الذي يُفترض أنه مسؤول عن الاستخبارات- في الحال، في الوقت الذي شعر فيه جورينج بالضيق من أسلوب شپير، وقال له هامسًا:

- «لِمَ تثير المتاعب، هه؟ إذا كان يريد تربيه سوالفه اللعينة، فدعه يربيها.»

هكذا بدأ شپير، الذي يتحلَّى عادةً باللباقة، ينعت جورينج بالنفاق وبأنه (طبق من شوربة الفاصوليا يرتدي اليونيفورم الألماني). أقسم جورينج أنه سيرد الإهانة، وفيما بعد سرت شائعات عن استعانته بقوات العاصفة لتحويل فراش شپير إلى الطراز الفرنسي.

وصل هملر غاضبًا. كان في منتصف درس الرقص الإيقاعي عندما رنَّ الهاتف ليستدعيه إلى برختسجادن. كان يخشى أن المسألة تتعلَّق بشحنة من طراطير الحفلات كان قد وعد بها رومل من أجل هجومه الشتوي (ولم يكن هملر معتادًا على أن تتم دعوته إلى العشاء في برختسجادن، لأن نظره كان ضعيفًا، وهتلر لم يكن يحتمل رؤيته وهو يرفع الشوكة فيغرسها في وجهه ويُسقط الطعام على عنقه). خمَّن هملر أن شيئًا ما ليس على ما يرام، لأن هتلر

ناداه بالقصير، وهي عادته عندما يكون غاضبًا. وبالفعل، التفت إليه الفوهرر فجأة صائحًا:

- «هل سيربِّي تشرشل سوالفه؟»

واحمر وجه هملر.

- «إذن...؟»

قال هملر إن هناك معلوماتٍ بلغته عن نية تشرشل تربية سوالفه، لكنها كلها غير مؤكَّدة، وأضاف أنه بالنسبة للحجم والعدد فعلى الأرجح أنه سيربِّي سالفين فقط بطولٍ متوسِّط، لكن لا أحد أراد أن يُخبره قبل التوثُّق من المعلومة. صرخ هتلر وضرب المائدة بقبضته (ما كان نصراً لجورينج على شبير)، ثم فرد خريطة وشرح لنا خطته لقطع وارد مناشف الحلاقة عن إنجلترا، بأن يقوم دونيتس -قائد البحريَّة- بحصار مضيق الدردنيل.

لكن السؤال الأهم ظلَّ معلَّقًا: هل يستطيع هتلر تربية سوالفه قبل تشرشل؟

علَّق هملر قائلاً إن تشرشل قد بدأ قبله بالفعل، وإنه قد يكون مستحيلاً أن يلحق به الفوهرر، لكن جورينج -ذلك الأبله المتفائل- قال إن الفوهرر يمكنه تربية سوالفه أسرع من تشرشل، خصوصًا

إذا تم حشد قوة ألمانيا كلها في سبيل تحقيق هذا الهدف السَّامي.

أما روندشتيدت -الذي نجح في القضاء على المقاومة البولندية- فقد قال في اجتماع للقيادة العامة إنه من الخطأ محاولة تربية السوالف على جبهتين في آنٍ واحد، وأضاف أنه من الحكمة التركيز على تربية سالفٍ واحد على جبهةٍ واحدة، لكن هتلر قال إنه يستطيع تربية سالفيه معًا، بينما اتفق رومل مع روندشتيدت وقال:

- «لكنهما لن يكونا متساويين يا جناب الفوهرر إذا استعجلت العمليَّة.»

أصيب هتلر بالغضب وقال إن هذه المسألة ترجع له هو والحلاق، ووعد شبير بأنه يستطيع مضاعفة إنتاج كريم الحلاقة ثلاث مرات مع حلول الخريف، وهو ما أصاب هتلر بالنشوة.

ثم، وفي شتاء 1942، أطلق الروس هجومًا مضادًا أدى لإيقاف عملية السوالف، وأصيب هتلر بالاكتئاب خشية أن يبدو تشرشل رائعًا بسوالفه الجديدة بينما يظل هو عادي المظهر كما هو. على أن أخبارًا بلغتنا بعد فترةٍ قصيرة تفيد أن تشرشل تخلَّى عن فكرة تربية سوالفه لارتفاع تكلفتها الشديدة، ومرَّة أخرى أثبت الفوهرر أنه على حق.

***

بعد غزو الحلفاء أصبح شعر الفوهرر جافًّا غير متناسق. كان هذا من ناحيةٍ بسبب نجاح الحلفاء، ومن ناحيةٍ أخرى نتيجة لنصيحة جوبلز الذي قال له أن يغسله كل يوم. لكن عندما سمع الچنرال جودريان هذا عاد على الفور من الجبهة الروسية وقال للفوهرر إنه يجب أن يغسل شعره بالشامپو ثلاث مرَّاتٍ في الأسبوع على الأكثر، فهذه هي الطريقة الناجحة التي اتبعتها القيادة العامة في الحربين السابقتين، إلا أن هتلر -مرَّة أخرى- رفض الإصغاء إلى نصيحة چنرالاته واستمرَّ في غسيل شعره كل يوم. كان بورمان -العضو البارز في الحزب- هو من يساعد هتلر على غسيل شعره، وكان يحمل مشطًا معه دائمًا، وفي النهاية أصبح هتلر معتمدًا على بورمان تمام الاعتماد، وقبل أن ينظر في أيِّ مرآة كان يجعل بورمان ينظر فيها أولًا.

مع تقدُّم جيوش الحلفاء شرقًا ساءت حالة شعر هتلر أكثر فأكثر، وكان كثيرًا ما كان يقول في ثورة إنه سيحلق شعره وذقنه عندما تربح ألمانيا الحرب، بل وربما يُلمِّع حذاءه أيضًا. على أنني أدرك الآن أنه لم يكن ينوي فعل أيٍّ من هذه الأشياء.

ثم جاء يوم سرق فيه هس زجاجة الفازلين الخاصة بالفوهرر واستقل طائرة إلى إنجلترا. أصيبت القيادة الألمانية بالغضب الشديد، وقالوا إن هس ينوي إعطاء الفازلين للحلفاء مقابل العفو العام عنه. هتلر بالذات كان شديد الهياج عندما سمع الخبر، إذ كان قد استحم للتو ويستعد لدهان شعره. قال هس في نورمبرج فيما بعد إن خطته كانت أن يقوم بتدليك فروة رأس تشرشل في محاولة لإنهاء الحرب، وكان قد نجح في جعل تشرشل ينحني على الحوض بالفعل عندما تم إيقافه.

في أواخر 1944 أطلق جورينج شاربه متسبباً في كثيرٍ من الكلام عن نيته حل محل هتلر قريباً، وكالعادة أصيب هتلر بالغضب واتهم جورينج بالخيانة، وصرخ:

- «لا بد أن يكون هناك شارب واحد بين قادة الرايخ، وهو شاربي أنا!»

كانت حجة جورينج أن وجود شاربين قد يُعطي الشعب الألماني إحساسًا بالأمل في الحرب التي كانت تسوء كل يوم عن سابقه بالنسبة لألمانيا، لكن هتلر أصرَّ على الرفض. ثم، في يناير 1945، فشلت الخطة التي وضعها عدد من الچنرالات لحلاقة شارب

هتلر وهو نائم وإعلان دونيتس القائد الجديد، عندما قام شتاوفنبرج -في ظلام غرفة هتلر- بحلاقة أحد حاجبيه بدلًا من الشارب. تم إعلان حالة الطوارئ، وجاء جوبلز إلى دكاني فجأة قائلا إنه كانت هناك محاولة لاغتيال شارب الفوهرر لكنها فشلت، ثم رتَّب لي أن أتكلَّم في الإذاعة وأخاطب الشعب الألماني.

- «الفوهرر بخير ولا يزال محتفظًا بشاربه. أكرِّر: الفوهرر بخير ولا يزال محتفظًا بشاربه. كانت هناك خطة دنيئة لحلاقته وفشلت.»

***

قُرب النهاية ذهبت إلى مخبأ هتلر السري. كان الحلفاء يقتربون من برلين، وكان هتلر يشعر أنه إذا وصل الروس أولًا فإنه قد يضطر لحلاقة شعره بالكامل، أما إذا جاء الأمريكان قبلهم فإنهم سيشذِّبونه فقط على الأرجح. كان الجميع يتشاجرون، ووسط كل هذا قال بورمان إنه يريد أن يحلق ذقنه، ووعدته بأن أبدأ العمل على خطة لهذا.

أصبح هتلر أكثر كآبة وانعزالًا، وكان يتكلَّم عن فصل شعره من الأذن للأذن، وأن الانتهاء من تجميع ماكينة الحلاقة الكهربائية قد يجعل ألمانيا تربح الحرب.

- «سنستطيع الحلاقة في غضون ثوانٍ معدودة.»

ذكرَ كذلك عدداً من الخطط الكبيرة الأخرى، بل وأضاف أن شعره سيكون مثالاً للفخر النازي ذات يوم. كالعادة كان مهتمًّا أكثر بالحجم، وأقسم أنه ذات يوم سيصفِّف شعره على طريقة بومبادور «وسيرتجف العالم أمامها، ولن يقدر على تصفيف شعري حينها إلا فرقة كاملة من حرس الشرف.»

وأخيراً تصافحنا وشذَّبت له شعره للمرَّة الأخيرة.

ثم أعطاني الفوهرر قرشًا واحداً كبقشيش، وقال:

- «ليتني كنت أستطيع إعطاءك أكثر، لكن منذ اجتاح الحلفاء أوروبا والنقود معي قليلة.»

نُشرَت في *Getting Even* عام 1971

أزاثوث

هـ. پ. لاڤكرافت

عندما أصيب العالم بالشيخوخة، وتلاشَت الدَّهشة من عقولِ بني آدم... عندما شهِقَت المدن الكئيبة بأبراجٍ صمَّاءٍ قبيحةٍ لتُباري الدُّخان في السَّماء وتَحرِم الكلَّ من الحُلمِ بالشَّمسِ أو بعسلِ الزُّهورِ في الرَّبيع... عندما سلبت معارفُ البشر شعلة الجمالِ من الأرضِ، وكفَّ الشُّعراء عن التغنِّي بالأشباح الخدَّاعة التي لايرونها إلا داخل أنفسهم بأعينٍ نصف مغمضةٍ... عندما حدثت هذه الأشياء، وراحت الآمال الطفوليَّة إلى الأبد، كان ثمَّة رجل قد سافر خارج حدود الحياة في مسعى إلى الأمكنة التي فرَّت إليها الأحلام من عالمنا.

لم يُكتب إلا القليل عن اسمِ الرجل وعنوانه، لأنهما ينتميان إلى عالم اليقظة فقط، وإن كان قد قيل إنهما اتَّشحا بالغموض. يكفي أن نقول إنه كان يعيش في مدينةٍ ذات جدرانٍ عاليةٍ يسودها الغسق القاتم، وإنه كان يكدح اليوم بطوله بين الظِّلال والشَّقاء، ثم

يعود إلى بيته عندما يأتي المساء، فيدخل غرفةً لا تُفتح نافذتها الوحيدة على حقولٍ أو بساتين، بل على باحةٍ معتمةٍ تُحدِّق فيها نوافذُ أخرى في قنوطٍ مستمر. من إطار النافذة لا يمكنك رؤية شيءٍ سوى النوافذ والجدران، إلا إذا مِلتَ واشرأببتَ قدرَ ما تستطيع البلوغ خارج النافذة لتلمحَ النجوم الصغيرة المارَّة. ولأن الجدران والنوافذ -من فرط جمودها- تدفع أيَّ إنسانٍ يقرأ ويحلم كثيرًا إلى الجنون، عوَّد ساكن تلك الغرفة نفسه ليلةً بعد ليلةٍ على أن يميل خارج النافذة ويمد جسده ليرمق السَّماء ويلتقط بناظريه شظايا أشياء من وراء عالم اليقظة والمدائن الشَّاهقة، وبعد سنواتٍ أصبح يُسمِّي كل نجمةٍ مُبحرةٍ في الفضاء باسمها، ويُتابعها في شغفٍ إذ تنسلُّ خارج حدود البصر مُخلِّفةً وراءها حُزنًا. تفتَّح عقله على آفاقٍ سِريَّة لم تلمحها عينٌ أخرى أو يعتقد عقلٌ آخر في وجودها. ثم جاءت ليلة هبَّت فيها دوامة عاتية، وجاءت موجة من السَّماء المسكونة بالأحلام إلى نافذة المراقِب الوحيد لتمتزج بهواء غرفته وتجعله جزءًا من أعجوبة النجوم.

في تلك الغرفة انصبَّت نهيرات من قلب الليل البنفسجي المرصَّع بتراب الذَّهب، وهلَّت دوَّامات من الغبار والنار، تدور وتدور

ناثرةً عطورًا باذخةً من وراء العالم في فضاءٍ سرمدي. في تلك الغرفة انصبَّت محيطاتٌ مخدِّرة مضاءة بشموسٍ لم ترَ عين مثيلاً لها أبدًا، وفي أمواجها سبحت الدلافين وحوريات البحر الآتية من أغوارٍ سحيقة. دارت الأبديَّة بلا صخبٍ حول صديقنا الحالم، وحملته بعيدًا دون أن تمس جسده المائل في تصلُّبٍ من النافذة الوحيدة. ولأيامٍ لا تُحصى في روزنامة البشر حملته أمواج العوالم البعيدة في رفقٍ، ثم تركته نائمًا في سلامٍ على شاطئ أخضر يضيئه الشُّروق؛ شاطئ أخضر يفوح فيه عبير اللوتس وتلمع فيه زهور البسنت الحمراء.

*أزاثوث: إله أسطوري ابتكره لاڤكرافت، ويظهر في كتاباته عن أساطير كثولو ودورات الأحلام، وفي كتابات آخرين.

صفحات من مفكِّرة

نيل جايمان

صفحات من مفكِّرة عُثر عليها في علبة حذاء على متن حافلةٍ في مكانٍ ما بين تالسا، أوكلاهوما ولويسڤيل، كنتاكي

الاثنين 28

أعتقد أني ألاحق سكارلت منذ فترةٍ طويلة الآن. بالأمس كنت في لاس ڤيجاس، وأثناء عبوري مرآب أحد الملاهي وجدت بطاقة بريديَّة على الأرض.

كانت هناك كلمة مكتوبة عليها بطلاء شفاهٍ قرمزي، كلمة واحدة هي (تذكَّر)، وعلى الجانب الآخر من البطاقة صورة لطريقٍ سريع في مونتانا.

لا أذكُر ما الذي يجدر بي تذكُّره، لكنني على الطريق الآن أتجه شمالًا.

الثلاثاء 29

إنني في مونتانا -أو ربما هي نبراسكا- وأكتب هذه الكلمات في موتيل على الطريق. الريح تعصف خارج غرفتي وأنا أحتسي قهوة الموتيل السوداء، تمامًا كما سأحتسيها غدًا وبعد غدٍ. في مطعمٍ صغير ببلدةٍ صغيرة اليوم سمعت من يقول اسمها. قال الرجل إن «سكارلت على الطريق.» كان ضابط مرور، وقد غيَّر الموضوع بمجرَّد أن اقتربت لأصغي.

كان يتكلَّم عن حادث تصادم شنيع ويقول إن الزجاج تناثر على الطريق متألِّقًا كالماس. حيَّاني الرجل قائلاً «سيِّدتي» في كياسة.

الأربعاء 30

قالت المرأة:

- «ليس العمل هو ما يصيبك بكل هذا الاستياء، بل نظرات الناس.»

كانت ترتجف، فالليلة كانت باردة حقًّا، وهي لم تكن ترتدي ملابس ثقيلة طبعًا.

قلت لها إنني أبحث عن سكارلت، فاعتصرت يدي بيدها، ثم

مسَّت وجنتي بخفةٍ شديدةٍ وقالت:

- «لا مناص من مواصلة البحث.»

ثم راحت تقطع الشارع بخطواتٍ واثقة.

لم أعد في بلدةٍ صغيرة، ولعلي الآن في سانت لويس. كيف تعرف أنك في سانت لويس؟ بحثت عن دلالةٍ ما، عن شيءٍ يربط الشرق بالغرب، لكن لا بد أنه فاتني إن كان له وجود.

بعد ذلك عبرتُ نهرًا.

الخميس 31

كان التوت الأزرق البري ناضجًا على جانب الطريق، وثمَّة خيط أحمر عالق بالشجيرات. أخشى الآن أنني أبحث عن شيءٍ لم يعد موجودًا، أو لعله لم يوجد قط.

في مقهى في الصحراء تكلَّمت مع امرأة كنت أحبها تعمل نادلة هناك منذ زمنٍ طويل.

قالت لي:

- «حسبت أني وجهتك، لكن يبدو أنني مجرَّد محطَّة أخرى على الطريق.»

فلم أستطع أن أردَّ بشيءٍ ذي معنى، ولم تكن لتسمعني. كان حريًّا بي أن أسألها إن كانت تعرف مكان سكارلت.

الجمعة 32

حلمت بسكارلت ليلة أمس. كانت ضخمة غاضبة، وكانت تطاردني. كنت أعرف كيف تبدو في الحلم، وعندما استيقظت وجدت نفسي في سيارة جر مركونة على جانب الطريق، وكان هناك رجل يُسلِّط ضوء كشافه على وجهي عبر النافذة. قال لي «سيِّدي» وطلب رؤية بطاقتي الشخصية.

قلت له من حسبتني أكون وعمن أبحث، لكنه ضحك وابتعد وهو يهز رأسه ويدندن أغنية لا أعرفها. قدت السيارة جنوبًا حتى الصباح. أحيانًا أحسب أن ما أفعله أصبح هوسًا.

الغريب أنها تمشي على قدميها بينما أتحرَّك أنا بالسيارة، فكيف تسبقني دائمًا؟

السبت 1

عثرت على علبة حذاء أحتفظ فيها ببعض الأشياء. في

مكدونالدز بچاكسونڤيل تناولت كوارتر پاوندر بالجبن وميلك شيك بالشوكولاتة، ثم أفرغت كلَّ شيءٍ أحتفظ به في العلبة على الطاولة أمامي: الخيط الأحمر العالق بشجيرة التوت الأزرق، البطاقة البريدية، صورة ضوئية وجدتها في أرضِ خراب بالقرب من صنست بوليڤارد بها فتاتان تتهامسان الأسرار بوجهين متوردِّين، شريط كاسيت، مقدار من الترتر الذهبي في زجاجةٍ صغيرة أعطاني أحدهم إياها في واشنطن، صفحات كنت قد مزَّقتها من كُتُبٍ ومجلات، فيشة لعب من أحد الملاهي، وهذه المفكِّرة.

- «عندما تموت يمكنهم أن يُحوِّلوك إلى ماسات الآن. إنه العلم. هكذا أريد أن يذكرني الناس، أريد أن أبرق.» قالتها امرأة ذات شعرٍ داكنٍ تجلس إلى الطاولة المجاورة.

الأحد 2

الطُّرُق التي تسلكها الأشباح مكتوبةٌ على الأرضِ بكلماتٍ عتيقة، فالأشباح لا تقطع الطُّرُق الرابطة بين الولايات ركوبًا، بل تمشي. أشبحًا أتبع إذن؟ أحيانًا أحسب أني أنظر من خلال عينيها، وفي أحيانٍ أخرى أحسب أنها هي من تنظر من خلال

عينيَّ.

إنني في ويلينجتون بنورث كارولينا، أكتب هذه الكلمات على شاطئٍ خالٍ بينما يلتمع نور الشمس على مياه البحر، وأشعر بوحشةٍ عارمة.

إننا نرتجل خطواتنا التالية ارتجالاً، أليس كذلك؟

الاثنين 3

كنت في بالتيمور، أقف على رصيفٍ في مطر الخريف الخفيف أتساءل عن المكان الذي كنت أقصده. أظنني رأيت سكارلت في سيارةٍ قادمةٍ نحوي. كانت راكبةٌ ما لم أستطع رؤية وجهها، لكن شعرها كان أحمر. كانت المرأة التي تقود السيارة -سيارة جر قديمة الطراز- سمينة سعيدة ذات شعرٍ أسود طويل وبشرةٍ سمراء.

قضيت تلك الليلة في بيت رجلٍ لا أعرفه، وعندما استيقظت قال لي إنها في بوسطن. سألت عمن يقصد، فقال إنها من أبحث عنها.

سألته كيف عرف، لكنه رفض الإجابة، وبعد فترةٍ قصيرة طلب مني أن أغادر، ففعلت.

أريد أن أعود إلى بيتي، وكنت لأعود لو عرفت أين هو، لكنني

أشق الطريق بدلًا من هذا.

الثلاثاء 4

أثناء مروري بنيو آرك في منتصف النهار، استطعت أن أرى قمَّة نيويورك وقد تلطَّخت بالظلام من فرط الغبار في الهواء استعدادًا للغرق في ظلامٍ دامس بفعل عاصفةٍ رعديَّة قادمة. لعلها نهاية العالم.

أحسب أن العالم سينتهي بالأبيض والأسود، تمامًا كما في الأفلام القديمة. (شعرٌ أسود كالفحم، بشرةٌ بيضاء كالجليد). لعلنا نستطيع الاستمرار طالما تبقَّت لنا الألوان. (شفتان حمراوان كالدَّم). أظل أذكِّر نفسي بهذا.

بلغت بوسطن مع حلول المساء، وأجد نفسي أبحث عنها في المرايا والانعكاسات. تأتي عليَّ أيام أذكر فيها عندما جاء البِيض إلى هذه الأرض وهبط السُّود على السواحل مكبَّلين بالأغلال، وأذكر عندما كان الحُمر يجوبون هذه الأرض وهي أكثر شبابًا. وأذكر عندما كانت الأرض وحيدةً تمامًا.

«كيف يمكنك أن تبيع أمك؟» كان هذا قول القوم الأولين عندما

طُلب منهم أن يبيعوا الأرض التي يمشون عليها.

الأربعاء 5

تحدثت إلي ليلة أمس. كلي ثقة بأنها هي.

كنت أمر بهاتفٍ عمومي في أحد شوارع لوس أنچليس عندما رنَّ الهاتف فرفعت السماعة.

قال الصوت:

- «هل أنت بخير؟»

سألت:

- «من أنت؟ لعلك طلبت رقمًا خطأ.»

قالت:

- «ربما، لكن هل أنت بخير؟»

قلت:

- «لا أدري.»

قالت:

- «هناك من يحبك...»

وعرفت عندها أنها هي. أردت أن أقول لها إنني أحبها أيضًا،

لكنها كانت قد وضعت سماعة الهاتف؛ هذا لو كانت هي. لقد كانت هنا للحظةٍ واحدة، ولعل الرقم كان خطأً بالفعل، وإن كنت لا أظن.

لقد اقتربت بشدَّة. أشتري بطاقة بريديَّة من شريدٍ يسكن الرصيف ويحمل دثارًا به أشياء وأشياء، وأكتب (تذكَّر) على البطاقة بطلاء الشفاه كي لا أنسى أبدًا. لكن الريح تهب وتذرو البطاقة بعيدًا، وأظن أني سأواصل المشي في الوقت الحالي على الأقل.

نُشرَت في *Fragile Things* عام 2006

المرحومة

ريتشارد ماثيسون

فتح الرجل ذو البِنية الضئيلة الباب وخطا إلى الداخل بعيداً عن أشعَّة الشمس السَّاطعة. كان في أوائل العقد السادس من العمر، نحيلاً لا يُميِّز مظهره شيء، وقد بدأ الصَّلَع يزحف على مقدمة رأسه. أغلق الباب خلفه دون صوتٍ، ثم وقف في البهو المظلم منتظراً أن تعتاد عيناه على تغيُّر الإضاءة. كان يرتدي بذلة وربطة عنق سوداء مع قميصٍ أبيض، وكان شاحب الوجه جاف البشرة على الرغم من حرارة الجو المرتفعة.

تكيَّفت عينا الرجل مع الإضاءة الجديدة أخيراً، فخلع قبعته وخطا نحو المكتب دون أن يُصدر حذاؤه الأسود صوتًا على البساط السَّميك.

رفع الحانوتي الجالس خلف مكتبه عينيه إليه وألقى عبارةً مُرحِّبة، فردَّها الرجل بصوتٍ ناعم.

- «هل يمكنني مساعدتك؟»

أجابه الرجل بالإيجاب، فأشار الحانوتي إلى الكرسي المواجه للمكتب.

جلس الرجل على حافة الكرسي ووضع قبعته في حجره، وراقب الحانوتي صامتًا وهو يفتح دُرجًا ليُخرج منه استمارة مطبوعة، ثم قال الحانوتي في رِفق وهو يسحب قلمًا أسود:

- «والآن، من المتوفى؟»

- «زوجتي.»

أصدر الحانوتي صوتًا يوحي بالتعاطف وقال:

- «آسف.»

رمقه الرجل بنظرةٍ خاوية وهو يقول في خفوت:

- «نعم...»

- «وما اسمها؟»

أجاب الرجل في هدوء:

- «ماري أرنولد.»

دوَّن الحانوتي الاسم وقال:

- «والعنوان؟»

أملى عليه الرجل العنوان، فدوَّنه الحانوتي بدوره، ثم سأله:

- «أهي هناك الآن؟»

- «إنها هناك.»

هزَّ الحانوتي رأسه متفهِّمًا، وقال الرجل:

- «أريد أن يكون كل شيءٍ مثاليًّا. أريد أفضل ما لديك.»

ردَّد الحانوتي:

- «طبعًا، طبعًا.»

وأضاف الرجل وحنجرته تتحرَّك إذ ابتلع لعابه الجاف:

- «لا تهمني التكلفة. لا يهمني أي شيء الآن في الحقيقة سوى هذا.»

- «مفهوم.»

- «لقد كانت تحظى بأفضل الأشياء دائمًا، ولقد حرصتُ على هذا.»

- «بالطبع.»

- «سيحضر كثيرون الجنازة. لقد أحبها الجميع. إنها شابَّة وجميلة، ولا بد أن تُجهِّز لها أفضل ما لديك، مفهوم؟»

قال الحانوتي مُطمئِنًا:

- «بكلِّ تأكيد. أؤكِّد لك أنك سوف تشعر بالرضا التام.»

ردَّد الرجل مرَّة أخرى:

- «إنها جميلة للغاية، وشابَّة.»

غمغم الحانوتي:

- «مؤكَّد.»

جلس الرجل ذو البِنية الضئيلة دون حراك يجيب على أسئلة الحانوتي الروتينيَّة، دون أن تتبدَّل نبرة صوته ودون أن تطرُف عيناه إلا قليلاً للغاية.

وقَّع الرجل الاستمارة عندما انتهى منها الحانوتي، ثم نهض فنهض الحانوتي ودار حول المكتب قائلاً وهو يمد يده:

- «سوف ترضى تمامًا عن الخدمة، أؤكِّد لك.»

مدَّ الرجل يده وصافحه سريعًا بكفٍّ جافَّة باردة، وأضاف الحانوتي:

- «سنكون عندك في المنزل خلال ساعة.»

وسار معه عبر الرواق الذي يقود إلى الخارج، بينما قال الرجل مرَّة أخرى:

- «أريد أن يكون كل شيء مثاليًّا. أريد أفضل ما لديك على

الإطلاق.»

- «كل شيء سيكون كما ترغب بالضبط.»

حدَّق الرجل في اللا شيء وهو يُغمغم:

- «إنها تستحق الأفضل. إنها جميلة للغاية والجميع يحبونها بلا استثناء. إنها شابَّة وجميلة للغاية.»

سأله الحانوتي:

- «متى كانت الوفاة؟»

لم يبدُ على الرجل أنه سمعه. لقد فتح الباب وخطا إلى أشعة الشمس الساطعة من جديد واضعًا قبعته.

كان قد قطع نصف الطريق إلى سيارته المركونة عندما أجاب بابتسامةٍ باهتةٍ على شفتيه:

- «بمجرَّد أن أعود إلى المنزل.»

نُشرَت عام 1987

البيت

تشارلز بوكوڤسكي

إنهم يَبنون بيتًا
يبعُد نصف شارعٍ تقريبًا
وأجلسُ هنا وقد أسدلتُ الستائر
أصغي إلى الأصوات
ودقِّ المطارق على المسامير
تاك-تاك-تاك-تاك
وأسمعُ صوت الطيور
وتاك-تاك-تاك
ثم أستلقي في الفراش
وأسحبُ الغطاء إلى عنقي
إنهم يَبنون البيت منذ شهرٍ
وقريبًا سيمتلئ بأهله... وسينامون فيه، ويأكلون
ويُحبُّون ويملأونه صخبًا

لكن...
بشكلٍ ما الآن، ثمَّة شيء غير سليم
ثمَّة نوعٌ من الجنون
الرجال يمشون على السَّطح بالمسامير متدلية من أفواههم
وأقرأُ عن كاسترو وكوبا
وفي الليل أمرُّ بالبيت فأرى هيكله ظاهرًا
وبالداخل أرى قططًا تمشي كما تمشي القطط
ثم يمرُّ ولدٌ على درَّاجة
ولم يزل البيت لم يكتمل
في الصباحِ سيعود الرجال
ويجولون في البيت بمطارقهم
ويبدو لي أنه لا يجدر بنا أن نبني بيوتًا بعد الآن
أو نتزوَّج بعد الآن
وأن نكف عن العمل ونجلس في غُرَفٍ صغيرة في الطابق الثاني
تحت أضواء المصابيح دون ستائر
ويبدو لي أن هناك الكثير مما يجب نسيانه

والكثير مما لا يجب أن يحدث
وفي الصيدليَّات والأسواق والبارات الناس متعبون
لا يريدون الحركة
وأنا أقفُ هنا ليلاً أرمقُ البيت
والبيت لا يريد أن يُبنى
عبر جانبه المفتوح أرى التلال الأرجوانية
وأنوار المساء الأولى
والجو بارد
فأربطُ أزرار معطفي
وأقفُ أمام البيتِ أرمقه
فتتوقَّف القطط وتنظر إليَّ إلى أن أشعر بالحَرَج
فأسير شمالاً على الرصيف
حيث سأشتري سجائر وبيرة، وأعودُ إلى غرفتي

السؤال الأزلي عن وجود الله

ستيف مارتن

أبدًا لا يغيب أو يتوارى السؤال القديم قِدم الدَّهر «هل الله موجود؟» مهما مرَّ من زمن. منذ بداية التاريخ البشري، وبمجرَّد أن يحسب أحدهم أنه وجد الإجابة، تجد واحدًا آخَر يأتي ليُعارضها في الحال. يبقى السؤال دائمًا، والآن هو مُعلَّق في الأثير منتظرًا الانقضاض على طلبة الجامعة، ثم منسحبًا بعد سن الثلاثين، ليظهر مرَّة أخرى على السطح ذات حفلٍ أو تجمُّعٍ ما، قبل أن يعود بكامل قوته في (المرحلة الفلسفيَّة) من العُمر. لكن قبل أن نتناقش في هذا السؤال المعقَّد، دعني أقدِّم لكَ نفسي أولًا: أنا توبي، الحصان المتكلِّم.

كوني حصانًا متكلِّمًا يمنحني الكثير من الوقت للتأمُّل في هذه المسائل الكبيرة. لا أحد يمتطيني، لأنني آمر كلَّ من يحاول بالنزول، لذلك أجد كثيرًا من الوقت للوقوف كذلك. أحيانًا أشرع في الغناء ليلًا لتمضية الوقت، وأحيانًا أغازل الحسناء الصغيرة في

المرعى المجاور، ليلي. في بعض الأحيان أيضًا أختبر القوى التي أتمتَّع بها، وهو شيء ممتع في الحقيقة. وعلى ذِكر الحقيقة، فإنك لست تقرأ هذا الآن في واقع الأمر، بل تتخيَّل فقط أنك تقرأه، أما ما تفعله حقًّا فهو أنك في هذه اللحظة تتصل بالبنك لتُحوِّل كل ما لديك من مالٍ إلى حسابي.

غالبًا ما أقوم بإعادة ترتيب حروف الكلمات لتكوين كلماتٍ جديدة في رأسي، كما يفعل كثيرون غيري من معشر الخيل، فعندما ترى حصانًا واقفًا في حقلٍ يرمقك، فإنه في الحقيقة يقوم بعملية ترتيب الحروف هذه في عقله... «قمر، رقم، مقر»... هذا من الطباع الأصيلة لدى الخيل. هكذا، أول شيء أفعله بسؤالٍ كبير كالذي نتكلَّم عنه الآن هو أن أمرِّره في عقلي وأعيد ترتيب الحروف... «هل، له»... ليس لدينا الكثير هنا. ثم «الله، هلال، هللا»... وبعدها «موجود» التي لا تعطينا أيَّ نتائج مفيدة. يُمكِّنني الاستغراق في هذه التمارين العصبيَّة مع الانتقال إلى الخطوة التالية.

سَل نفسك: هل أحتاجُ حقًّا إلى معرفة الإجابة على ذلك السؤال؟ أظن أنك إذا كنت صادقًا مع نفسك، فإنك ستدرك أن الإجابة

بنعم أو لا لن تُغيِّر حياتك كثيراً.

إذا سألتني ما الذي جاء أولًا، السؤال أم الإيمان، سأقول لك إن الإيمان سَبَقَ السؤال، فالسؤال لا يقود إلى الإيمان، بل إلى عدم الإيمان. أما الإيمان -من ناحيةٍ أخرى- فموجود في كلِّ ثقافةٍ إنسانيَّة تقريبًا، على الرغم من أن هذا ينتج عنه أحيانًا من تجدهم يُصلُّون لدُمى مصنوعة من روث البهائم. لا ينمو الإيمان لدى الحيوانات كما البشر، ما يجعلني -أنا الحصان- المراقِب الموضوعي المثالي.

لأضع قاعدة أساسيَّة الآن: دعنا لا نتجادل. الجدل مكانه البرامج الحوارية على شاشات التليفزيون، فهل تجد له أي فائدة؟ إنني أضحك ملء شدقيَّ على الفكرة البشريَّة التي تزعم أن المنطق نجح في تغيير رأي أيِّ أحدٍ من قبل أو أثبت أيَّ شيءٍ أكثر من قدرة البشر على الجدل. يمكنني أن أجادلك قائلًا إن السماء خضراء إذا أردت، وسوف أقنعك. كيف؟ لأنني أستطيع دراسة كلِّ ما يكفي لحصار كلِّ رأي تطرحه برأي مضاد، ويمكنني أن أرد على كلِّ حجة لديك تدَّعي أن السماء ليست خضراء، وسأجعل رأسك يدور من فرط الأدلَّة والحجج التي ألقيها عليك. كل هذا وأنا حصان! أستطيع أن

أفعلها، فتخيَّل ما يستطيع أن يفعله شخص محنَّك متمرِّس في أمور الدين.

دعني أضع قاعدة أخرى مفيدة: لا تعريفات. يمكننا الجلوس هنا حتى تعود الأبقار إلى البيت (وفي ثقافتي ليس هذا تعبيراً مجازيًا) ونتناقش في تعريفات الكلمات المهمَّة، لكن دعني أؤكِّد لك أننا لن نصل إلى شيءٍ في النهاية. قد يكون من السهل أن نُلخِّص السؤال عن وجود الله في مجرَّد مشكلة نابعة من الاختلاف في دلالات الألفاظ، لكننا تجاوزنا هذا الآن. يُسعدني أن اسمي توبي - أي (الله جميل)- لأن هذا يُثبت ما أقول. إنني لست لاكي أو كوپر أو چينچر أو أي اسم آخر. ليكن الله تعريفًا ذاتيًا لنفسه إذن، تمامًا مثلي.

دعني أقول لك شيئًا عن ليلي. إن لديها شعر عنقٍ أصفر جميلاً، وكنت أفكِّر فيها منذ قليل.

ثمَّة شيء آخر: أرجوك لا تذكر عبارة (الدين المنظَّم)، فأنا أعرف ما تنشده منها، وهذا الجدل يليق أكثر بطلبة الجامعة الذين يرغبون في شيءٍ يتكلَّمون عنه وهم يُدخِّنون الماريچوانا، أما نحن فقد تجاوزنا ذلك النقاش منذ زمن.

قد لا تفهم أبدًا جمال شعر العنق الأصفر، لكنه لا يبدو بهذه الروعة إلا على ليلي. أحيانًا ما تعبر الحاجز بيني وبينها ليلًا وتدنو مني وتُطلق أنفاسها الدافئة على أنفي، فأحك رأسي بشعر عنقها الأصفر المبهج، فتظل رائحته معي حتى الصباح. إن لديها فتحة شرج رائعة أيضًا... آه، نسيت أنك بشري وأنك تعتبر تعبيراً كهذا سوقيًا. إن ليلي هي أقرب شيءٍ لله التقيت به في حياتي. إنها موجودة جسدًا وروحًا، وهي تنظر إليَّ وتميل عليَّ وتُرفرف بشعر عنقها الأصفر كي يحتك بي؛ وعلى الرغم من أنها -مثلي- لا تتكلَّم، فإنني أكاد أسمعها في تلك اللحظات تهمس باسمي، توبي.

ليلي، يليل، لييل، توبي، بوتي، وبتي...

هناك بعض من يبدو أنهم يعرفون الإجابة المؤكَّدة على السؤال، ويجعلهم هذا يرغبون في ارتداء عبائاتٍ وجلابيب وحرامل وقبعاتٍ خاصة، أو أن يضعوا ماكياجًا ثقيلًا ويُصفِّفوا شعرهم إلى أعلى. وهناك آخرون يؤمنون بالعكس تمامًا، وهو ما لا يُشكِّل مشكلة لدى البعض، لكنه يجعل البعض الآخر يعبس ويتجهَّم. لهؤلاء هناك كلمة واحدة تصفهم هي الذُّعر.

لعلك تتساءل، طالما لا يمكننا أن نتجادل أو نستخدم المنطق أو نضع تعريفات، كيف سنصل إلى إجابة على السؤال؟

لو كنت مكاني لما كان هناك داعٍ للقلق، لكنك تنقص عني بقدمين، لذا أقترح أن تفعل ما أفعله: اختر ليلة تمضغ فيها بعض التبن، ثم قف في حقلٍ كبيرٍ مفتوح وارفع رأسك إلى أعلى وتطلَّع إلى النجوم، وستعرف أن الله موجود. ثم، في يومٍ آخر عندما تكون الأمور سيئة، توقَّف وفكِّر في السؤال نفسه، وستعرف أن الله غير موجود. بالنسبة للحصان من الممكن أن تكون الفكرتان المتعارضتان صحيحتين في الآن نفسه، وهذا ما يُميِّز كلاًّ منا عن الآخر. لهذا السبب لم يخترع الحصان الكومبيوتر وإنما -وهذا ما يجهله كثيرون- اخترع الأرائك.

بمجرَّد أن تسمح للأفكار المستحيلة بأن تتواجد معًا في عقلك، فإنك في طريقك لأن تصبح دابَّة لا بأس بها على الإطلاق. وإليك بشيءٍ من الحكمة التي أقدِّمها لك: أيًّا كانت الإجابة التي تختارها في أيِّ لحظة، فتلك هي الإجابة الصحيحة؛ وإذا حاول أحد أن يعارضها، فقل له إنك تعلَّمتها من توبي الحصان.

أو توبي الناصح.

نُشر في مجلة *The New Yorker* في أغسطس 1998

حُلم

فرانز كافكا

كان چوزيف ك. يحلم...

وفي الحُلم كان الجو صحواً، فقرَّر چوزيف أن يخرج ليتمشَّى، لكنه لم يكد يخطو خطوتين حتى وجد نفسه في المقابر. كانت الطُّرُقات هناك ملأى بالمنعطفات الصاعدة والهابطة على نحوٍ جعلها غير عمليَّة للسير، لكنه سرى عبر واحدٍ منها كأن هناك جدولا من الماء يحمله باتزانٍ لا يهتز. من على مسافةٍ بعيدة لمحت عيناه كومةً من التُّراب حُفرت من قبرٍ جديدٍ في الأرض، ووجد في نفسه رغبة في التوقُّف إلى جوارها، حيث بسطت عليه إحساسًا أقرب إلى الافتتان، وشعر بأنه لا يستطيع بلوغها بسرعةٍ كافية. كان يسري، لكن كومة التُّراب ظلَّت تغيب عن ناظريه بين الحين والآخر، إذ حجبتها رايات تُرفرف وتخفق ضاربةً بعضها البعض بقوةٍ عظيمة. لم يرَ چوزيف حاملي الرايات، وإن بدا له أن ثمَّة احتفالاً بهيجًا مُقامًا هناك.

كان لا يزال يرمق كومة التُّراب البعيدة عندما رآها فجأةً على مقربةٍ منه، بل إنه كاد يتجاوزها بالفعل. وثب چوزيف من طريقه إلى العُشب، لكن لأن الطريق كان يتحرَّك بسرعةٍ تحت قدميه العجولتين، فإنه ترنَّح وسقط على ركبتيه أمام القبر المفتوح. كان هناك رجلان واقفان وراء القبر يحملان شاهدًا بينهما في الهواء، ولم يكد چوزيف يحُط أمام القبر حتى ألقيا الشاهد في الأرض، فوقف ثابتًا فيها كأنه دعامة لا تتزحزح. في تلك اللحظة خرج من بين الشجيرات رجل ثالث عرف چوزيف على الفور أنه رسَّام. كان الرجل الثالث يرتدي سروالًا وقميصًا وُضعت أزراره في العراوي الخطأ، وعلى رأسه كان يضع قبعة من المخمل، وفي يده كان يحمل واحدًا من الأقلام الرصاص التقليديَّة، أخذ يرسم به أشكالًا في الهواء وهو يقترب، حتى توقَّف أمام شاهد القبر الذي كان طويلًا للغاية، فلم يحتج الرسَّام لأن ينحني إلى أسفل، وإن كان مضطرًّا لأن يميل إلى الأمام مع حيلولة كومة تُراب القبر -التي امتنع من الخطو عليها- بينه وبين الشاهد.

هكذا وقف الرسَّام على أطراف أصابعه وثبَّت نفسه بيده اليسرى على الشاهد المسطَّح. ثم إنه، وبمهارةٍ مُدهشة، بدأ يُخرج

حروفًا ذهبيَّة من قلمه الرصاص التقليدي، فكتب «هنا يرقد--» بحروفٍ نضيدةٍ جميلة ذات نقوشٍ أنيقة من الذهب الأنقى على الإطلاق. عندما خطَّ الرسَّام هاتين الكلمتين التفت يرمق چوزيف من فوق كتفه، أما چوزيف -الذي كان متشوِّقًا للغاية لمعرفة نهاية العبارة المخطوطة على الشاهد- فلم يُعر الرجل كثيراً من الاهتمام وظلَّ مُركِّزًا عينيه على الشاهد. ثم إن الرجل عاد ليُكمل عمله من جديد، لكنه لم يستطع الاستمرار، حيث كان ثمَّة شيء ما يعيقه، فخفض يده حاملة القلم والتفت يرمق چوزيف مرَّة أخرى. هذه المرة بادله چوزيف النظرات، ولاحظ أنه يشعر بكثيرٍ من الخجل وإن كان عاجزًا عن تفسير السبب. تلاشت حيويَّة الرسَّام السابقة بغتةً، ما جعل چوزيف يشعر بالخجل بدوره، وأخذ الاثنان يتبادلان النظرات العاجزة مع شعورٍ بسوء فهمٍ عميق بينهما لم يستطع أيهما حلَّه. والآن بدأ جرس صغير يدق في غير أوانه من كنيسة المقبرة، فلوَّح الرسَّام بيده في حركةٍ جعلت الجرس يتوقَّف، لكن لم يمض وقت طويل حتى عاد الجرس يدق من جديد، هذه المرَّة بنعومةٍ شديدة ودون إصرار، قبل أن يتوقَّف ثانيةً كأنه يختبر نغماته فحسب.

شعر چوزيف بالأسى لورطة الرسَّام فبدأ يبكي، وانتحب لفترةٍ

طويلةٍ وقد ضمَّ كفيه حول وجهه. انتظر الرسَّام حتى هدأ چوزيف، ثم قرَّر أنه لا يوجد ما يُمكنه فعله، فعاد ليُكمل الكتابة. تنفَّس چوزيف الصعداء مع أول ضربةٍ صغيرةٍ من قلم الرسَّام على شاهد القبر، وإنما كان من الواضح تمامًا أن الرسَّام فعلها على مضضٍ شديد، وهذه المرَّة لم تكن الحروف المخطوطة بجمالِ الأولى، وفوق كلِّ شيءٍ بدا غياب اللون الذهبي جليًّا مع الحرف الجديد الشاحب غير المنتظم الذي تكوَّن. كان حرف (چ) كبيراً غير مكتمل؛ وفي تلك اللحظة دقَّ الرسَّام بقدمٍ واحدةٍ على كومة تُراب القبر في غضبٍ جعلت التُّراب يتناثر حوله في الهواء.

أخيراً فهمه چوزيف، وإن كان أوان الاعتذار قد فات الآن، فبدأ بأصابعه كلها يحفر في التُّربة التي لم تُبدِ أيَّ مقاومة. كان كلُّ شيءٍ يبدو كما لو أنه مُعَدٌّ مسبقًا، إذ كانت هناك قشرة رقيقة من التُّربة فقط موجودة لتُعطي المنظر المطلوب، وبمجرَّد أن بدأ چوزيف الحَفر انفتحت حُفرة كبيرة في الأرض ذات جوانبٍ شديدة الانحدار، غاص فيها چوزيف وقد انقلب على ظهره في خفَّة.

وبينما استقبلته أغوارٌ لا يمكن النفاذ إليها، ورأسه لا يزال قائمًا إلى أعلى، لمح چوزيف ك. اسمه على شاهد القبر بالأعلى

بحروفٍ منمَّقةٍ مزخرفة.

ثم إنه، مسحورًا بالمشهد، استيقظ من حُلمه.

نشرَت في الأعمال القصيرة الكاملة

كناس الأحلام

نيل جايمان

بعد أن تنتهي الأحلام تمامًا، وبعد أن تستيقظ مغادرًا عالَم الجنون والمجد إلى المطحنة اليوميَّة التقليديَّة التي ينيرها النهار، يمشي كنَّاس الأحلام بين أطلال خيالاتك المهجورة.

مَن يدري ماذا كان عندما كان حيًّا؟ بل مَن يدري إن كان حيًّا من قبل أبدًا؟

المؤكَّد أنه لن يجيب على أسئلتك. لا يستخدم الكنَّاس صوته الكئيب الأجش إلا نادرًا، وعندما يفعل تجده يتكلَّم في الغالب عن الطقس، أو عن التوقُّعات الخاصة ببعض الفِرق الرياضية وهزائمها وانتصاراتها. إنه يحتقر كل من هُم سواه.

يأتي إليك كنَّاس الأحلام بمجرَّد أن تستيقظ؛ يكنس الممالك والقلاع، والملائكة والبوم، والجبال والمحيطات. يكنس الشَّهوة والحب والعُشَّاق، والحُكماء الذين ليسوا فراشات، والزهور التي تنبت من اللحم، والغزلان الهاربة، والسفينة لوسيتانيا الغارقة.

يكنس كلَّ شيءٍ تركته وراءك في أحلامك؛ الحياة التي تلحَّفت بها، العيون التي نظرت من خلالها، ورقة الامتحان التي لم تعثر عليها قَط.

يكنس كلَّ شيءٍ فلا يترك شيئًا؛ المرأة ذات الأسنان الحادة التي غرسَت أنيابها في وجهك، الراهبات في الغابة، الذراع الميتة التي كسرَتها مياه الاستحمام الفاترة، الديدان القرمزيَّة التي زحفت متواريةً داخل صدرك عندما فتحت قميصك.

يكنس كلَّ شيءٍ تركته في الحُلم عندما استيقظت، ثم يحرقه كي يترك المسرح نظيفًا من أجل أحلام الغد.

عامله جيدًا إذا رأيته، وكُن مهذَّبًا معه، ولا تسأله أيَّ أسئلة. هلِّل لانتصارات الفِرق التي يُشجِّعها، وواسه عندما تنهزم، واتفق معه على حالة الطقس.

أعطه الاحترام الذي يرى أنه يستحقه.

ذلك أن هناك أناسًا لم يعُد يزورهم كنَّاس الأحلام بسجائره التي يلفُّها بيده ووشم التنين الذي يحمله. لا بد أنك رأيت هؤلاء.

إن لديهم أفواهًا ترتعش، وعيونًا تحملق، ويتمتمون وينشجون ويئنون. يمشي بعضهم في شوارع المدن يرتدي أسمالًا

وقد وضع كلَّ ما يملك من حطام الدنيا تحت ذراعه، والآخرون محبوسون في الظلام في أماكنٍ لا يستطيعون فيها أن يُنزلوا الأذى بأنفسهم أو غيرهم.

إنهم ليسوا بمجانين. بالأحرى، فقدانهم عقولهم هو أقل مشاكلهم. ما هُم فيه أسوأ من الجنون، وإذا سألتهم عمن يكونون، سيقولون إنهم الذين يعيشون -كلَّ يومٍ- في خرائب أحلامهم.

فإذا تركك كنَّاس الأحلام، فإنه لن يعود إليك أبدًا.

نُشرَت في *Smoke and Mirrors* عام 1998

يسقط إبليس!

كليڤ باركر

اجتمعت الظروف لتجعل جريجوريوس رجلاً فاحش الثراء، يملك أساطيلَ وقصورًا وخيولًا ومدنًا كاملة. كان يملك الكثير جدًّا، إلى درجةٍ جعلت هؤلاء الذين كُلِّفوا أخيرًا بإحصاء ثروته -بعدما بلغت أحداث قصته نهايتها الرهيبة- يقولون إن الأمر سيستغرق وقتًا أقل إذا ما قاموا بعدِّ الأشياء التي لا يملكها بدلًا من كلِّ هذا.

ثريًّا كان، لكن أبعد ما يكون عن السعادة. نشأ جريجوريوس كاثوليكيًّا، وفي سنواته الأولى، قبل صعوده الصاروخي إلى السُّلطة والثروة، كان قد وجد ملاذًا في إيمانه. لكنه بدأ يتخلَّى عن إيمانه شيئًا فشيئًا، وفي سن الخامسة والخمسين، والعالم كله عند قدميه، استيقظ من نومه ذات ليلةٍ ليجد الإيمان في قلبه وقد تلاشى تمامًا.

كانت ضربة موجعة له، لكنه بادر باتخاذ بعض الخطوات في الحال ليُعوِّض خسارته، فذهب إلى روما وتكلَّم مع الحَبر الأعظم،

وصلَّى ليل نهار، وأسَّس معاهد للاهوت ومستعمراتٍ للجذام، لكن الله لم يُظهر له شيئًا من نفسه، وبدا أنه تخلَّى عن جريجوريوس.

في غمرة اليأس دارت في عقله فكرة أنه لا يستطيع الفوز بطريق العودة إلى ذراعي خالقه إلا إذا وضع روحه في أشد أنواع الخطر. حملت الفكرة له بعض المنطق، فهب أنه دبَّر لقاءً مع إبليس، كبير الشياطين نفسه، أفلن يتدخَّل الله حينها ويعيده إلى حظيرة الإيمان؟

كانت خطة لا بأس بها، لكن كيف يُنفِّذها على أرض الواقع؟ إن الشيطان لا يأتي لأحدٍ بمجرَّد إجراء مكالمة هاتفيَّة، حتى لو كان عملاقًا في عالم المال مثل جريجوريوس، كما أن الأبحاث التي أجراها أثبتت بشكلٍ بات أن جميع الأساليب التقليديَّة لاستدعاء سيِّد الكذَّابين -كتدنيس العشاء الربَّاني أو التضحية بالرُّضَّع- لها ذات نتيجة استدعاء أيٍّ من الآلهة الخياليَّة التي يُحكى عنها في الأساطير. كان عام كامل من التروِّي والتفكير الحثيث قد مضى عندما توصَّل جريجوريوس أخيرًا إلى خطته الكبرى. سوف يبني جحيمًا على الأرض، جحيمًا عصريًّا هائلًا يغوي سيد المُغوين نفسه بأن يأتي ليسكن فيه كرُخٍّ في عُشٍّ اغتصبه.

قلب جريجوريوس العالم كله بحثًا عن مهندسٍ معماريٍّ قدير، وفي فلورنسا عثر على ضالته في رجلٍ اسمه ليوباردو، يقضي بقية سني عمره الذابلة في مستشفى للمجانين. كانت التصميمات التي وضعها ليوباردو لقصور موسوليني ذات نوعٍ خاص من العَظمة المجنونة التي ناسبت مشروع جريجوريوس تمامًا، وعليه خرج ليوباردو من زنزانته عجوزًا هزيلًا كريه الرائحة وقد استردَّ أحلامه من جديد، ولم يغادره نبوغه في كل ما هو هائل متطرِّف. من أجل دعم مشروعه الضخم، فُتحت له أعظم مكتبات العالم بحثًا عن كلِّ وصف مادي ومعنوي للجحيم، وقُلِّبت خزائن المتاحف لإخراج صور العذاب العظيم الممنوعة. لم يُترك حجرٌ غير مقلوب إذا كانت هناك لمحة شك في وجود شيء آثم تحته.

حملت التصميمات النهائيَّة لمحاتٍ من كتابات دو ساد ودانتي، ولمحاتٍ أكبر من فرويد وكرافت إبينج، لكن السواد الأعظم كان يتألَّف من أشياءٍ لم يُفكِّر فيها عقل من قبل، أو على الأقل يجسر على أن يضعها على الورق.

تم اختيار موقع في شمال إفريقيا، وبدأ العمل على جحيم جريجوريوس الجديد. كل شيء في المشروع كان خارقًا للعادة:

الأساسات كانت شديدة الضخامة، والجدران بالغة السُّمك، والأنابيب أكثر تطوُّرًا من تلك التي في أيِّ بناءٍ آخر في أيِّ مكانٍ في العالم. راقب جريجوريوس البناء البطيء بحماسٍ لم يذقه منذ أيامه الأولى وهو يبني إمبراطوريته. طبعًا من البديهي أن كثيرين اعتبروا أنه فقد عقله، ورفض أصدقاؤه الذين عرفهم لسنواتٍ طويلة التعامل معه، وانهار من شركاته الكثير بعد أن سحب المستثمرون أموالهم منها بعد أنباء إصابته بالجنون. لكنه لم يهتم، فخطته لا يمكن أن تفشل. سوف يأتي الشيطان ولو بدافع الفضول لرؤية الصَّرح الذي شُيِّد باسمه، وسيكون جريجوريوس في الانتظار عندما يفعل.

استغرق العمل أربع سنوات واستهلك الجزء الأكبر من ثروة جريجوريوس، لكن البناء بعد انتهائه كان في حجم ست كاتدرائيات كاملة، ويحوي كل ما قد يشتهيه ملاك جهنم. اشتعلت النيران بلا توقُّف وراء الجدران، والتهبت جاعلةً الخطو في أحد الممرات العديدة ألَمًا يكاد لا يُحتمل، وامتلأت الغُرف التي تُفضي إليها الممرات بجميع أدوات التعذيب التي يمكن تخيُّلها، كي يستعملها جنود إبليس كما يحلو لهم. كانت هناك أفران تكفي من

فرط ضخامتها لإحراق عائلاتٍ كاملة في وقتٍ واحد، وبِرَك تكفي من فرط عمقها لإغراق أجيالٍ بأكملها.

كان الجحيم الجديد كارثة تنتظر الحدوث، احتفاءً بالوحشيَّة ينتظر ضحيته الأولى فقط.

انسحب العاملون في البناء شاكرين، وكانت قد سرت بينهم بالفعل شائعة تقول إن إبليس يراقب بناء قبة اللهو الخاصة به منذ البداية، بل إن بعضهم ذكر أنه لمحه فعلاً في المستويات الأعمق بالأسفل، حيث يُجمِّد البرد البول في مثانتك من شدته. كانت هناك بعض الأدلَّة التي أيَّدت الاعتقاد في وجود حضورٍ خارق للطبيعة في البناء وهو يقترب من نهايته، ليست أقلها الميتة الشنيعة التي لقيها ليوباردو، الذي إما وثب من نافذة غرفته في الفندق في الطابق الستين، أو -كما أكَّد المتطيِّرون- تم إلقاؤه منها، قبل أن يُدفن وسط حالةٍ متوقَّعة من الصخب الإعلامي.

هكذا طفق جريجوريوس ينتظر في الجحيم الجديد.

لم ينتظر طويلاً، فلم يمر سوى يوم واحد لا أكثر عندما سمع ضجَّة من الأعماق. ذهب جريجوريوس وترقَّبه على أشُده ليبحث عن مصدر الصوت، لكنه لم يجد إلا أصوات حمَّامات البراز والأفران،

فعاد إلى جناحه الخاص في المستوى التاسع وانتظر. سمع الضجَّة مرَّة أخرى، ومرَّة أخرى ذهب ليبحث عن مصدرها، ومرَّة أخرى عاد خاوي الوفاض.

لم تتوقَّف الأصوات عند هذا الحد، وفي الأيام التالية لم تمر عشر دقائق دون أن يسمع الضجَّة آتية من مكانٍ ما. لم يكن هناك شك لدى جريجوريوس في وجود أمير الظلام هناك، لكنه كان متواريًا بين الظلال دائمًا، وكان جريجوريوس قانعًا بأن يلعب لعبته، فهذا هو حفل الشيطان رغم كلِّ شيء، ومن حقه أن يختار لعبته بنفسه.

لكن خلال الشهور الطويلة التالية التي اتسَّم أغلبها بالوحدة، بدأ جريجوريوس يشعر بالتعب من لعبة الاستغماية هذه، وبدأ يطالب بأن يُفصح إبليس له عن نفسه. دوَّى صوته بلا مجيبٍ في الممرات الخاوية إلى أن آلمه حلْقه من الصياح، فما كان بعدها إلا أن بدأ في البحث خلسةً على أمل أن يفاجئ الساكن الخفي على حين غرة، لكن الملاك العاصي كان يتملَّص منه دائمًا قبل أن يصبح في مجال بصره.

كان يبدو أنهما يلعبان لعبة انتظار، هو وإبليس، وكلٌّ منهما

يطارد ذيل الآخر عبر الجليد والنار والجليد مرَّة أخرى. قال جريجوريوس لنفسه أن يصبر. ألم يأتِ الشيطان بالفعل؟ أليست هذه بصمة إصبعه على مقبض الباب؟ أليست هذه فضلاته على السلالم؟ عاجلاً أو آجلاً سوف يُظهر لوسيفر وجهه، وسيبصق جريجوريوس عليه.

بالخارج مضت الحياة في العالم كما هي، وإن حظي جريجوريوس بصحبة غيره من الذين دمَّرتهم الثروة، فـ(حماقته) - كما أطلق الناس على المكان- لم تكن بلا زوار، إذ كان هناك من يحبونه ولا يستطيعون نسيانه ببساطة هكذا، بالإضافة إلى بعض المنتفعين الذين كانوا يطمعون في تحويل جنونه إلى منفعةٍ لهم. هؤلاء جرؤوا على عبور بوَّابات الجحيم الجديد دون أن يُخبروا أحدًا بوجهتهم خشية أن يعترض ذووهم، وانحصر التحقيق في اختفائهم واحدًا وراء الآخر في منطقة شمال إفريقيا فقط.

وفي حماقته ظلَّ جريجوريوس يطارد الأفعى، وظلَّت الأفعى تُضلِّله غير تاركة شيء إلا المزيد والمزيد من الأمارات الرهيبة على وجودها مع مرور الشهور.

كانت زوجة أحد الزوار المفقودين هي من اكتشفت الحقيقة

أخيراً وأبلغت السُّلطات، فوُضعت حماقة جريجوريوس تحت المراقبة، وبعد ثلاث سنواتٍ تقريباً من بنائها، أقدم أربعة من الضباط على عبور عتبة الباب.

كان البناء قد بدأ يبلى من دون صيانة، وانطفأت الأضواء في عدة مستويات، وبردت الجدران، وتيبَّس القار في الحُفَر. لكن تقدُّم الضباط الأربعة في السراديب بحثًا عن جريجوريوس قادهم إلى دليلٍ قاطع على أن الجحيم الجديد كان يعمل بكفاءة بالرغم من حالته المزرية. كانت هناك جثث في الأفران وجوهها عريضة سوداء، وكانت هناك بقايا بشريَّة جالسة مقيَّدة في كثيرٍ من الغرف، وقد قُلعت عيون أصحابها أو طُعنوا أو ذُبحوا حتى هلكوا.

تنامى رُعبهم مع كلِّ بابٍ فتحوه وكل فظاعةٍ جديدة وقعت أعينهم المحمومة عليها.

اثنان من الأربعة الذين دخلوا لم يبلغا قلب الجحيم الجديد، بل غلبهما الرعب وهربا، فقط ليجدا نفسيهما في طريقٍ مسدود، وينضمَّا إلى المئات الذين هلكوا هناك منذ مجيء إبليس وسكونه المكان.

ومن بين الاثنين اللذين قبضا على جريجوريوس جرؤ واحد

على حكاية قصته، على الرغم من أن الأشياء التي رآها هناك في قلب الجحيم كانت أشنع من أن يحتمل روايتها.

لم يكن هناك أثر للشيطان بالطبع؛ فقط جريجوريوس الذي احتلَّ المكان بعدما لم يجد أحدًا يسكنه، بالإضافة إلى بعض أتباعه الذين جمعهم حوله طوال السنوات الماضية، والذين لم يبدوا ذوي مزيةٍ ما، وإن لم يتركوا أداة تعذيب واحدة في المكان إلا واستخدموها بجميع الطُّرق وبلا رحمة.

لم يقاوم جريجوريوس القبض عليه، بل بدا مسرورًا بأن يجد منصة يتفاخر من عليها بمذابحه، ولاحقًا، خلال محاكمته، تكلَّم باستفاضة عن طموحه وشهوته، وعن المزيد من أنهار الدم التي سيريقها إذا تركوه، وأقسم إنها ستكفي لإغراق كل ما يمت للإيمان وترهاته بصِلة، ومع ذلك لن يشعر بالشبع. الله غائب في الجنة، والشيطان في هاوية الجحيم، فمن يوقفه؟

نال الكثير من اللعنات أثناء المحاكمة، وبعد أقل من شهرين مات في مستشفى المجانين في ظروفٍ غامضة. محت الڤاتيكان كلَّ أثرٍ له من سجلاتها، وتم حل معاهد اللاهوت التي بناها.

ومع ذلك ظلَّ البعض، ومنهم عدد من الكرادلة، ممن لم

يستطيعوا الكفَّ عن التفكير في شرور جريجوريوس غير
المسبوقة، وتساءلوا بين أنفسهم إن كانت خطته قد فشلت بالفعل.
تساءلوا إن كان جريجوريوس في تخلِّيه عن الأمل في الملائكة -من
سقط منها ومن لم يسقط- لم يصر واحداً منها.
وتساءلوا إن كانت الأرض يمكنها أن تتحمَّل كلَّ هذا.

نُشرت في الجزء الرابع من *Books of Blood* عام 1985

خروج

تشاك پالانيك

أرجو أن تفهمني.

لا أحد هنا يُدافع عما فعلته كورا.

لم يكن شيء شبيه بهذا قد حدث إلا مرَّة واحدةً فقط قبل عامين.

القصة أنه مع بداية كلِّ ربيع وخريف جديد، يتلقَّى طاقم قسم الشرطة درسًا للتذكير بإجراءات التنفُّس الصناعي، أو الإنعاش القلبي الرئوي، حيث تلتقي كل مجموعةٍ في غرفة الرعاية الصحية لممارسة تدليك القلب على الدُّمية المخصَّصة لهذا. هناك ينقسمون إلى أزواج، وتقوم مدير القسم بتدليك الصَّدر، بينما يجثو الشخص الآخر على ركبتيه ويُغلق طاقتي الأنف بأصابعه وينفخ الهواء في الفم. كانت الدُّمية من طراز (دُمية التنفُّس بتي) التي تتكوَّن من جذعٍ ورأسٍ فقط بلا ذراعين أو قدمين. لها شفتان مطَّاطيتان زرقاوان، وعينان خضراوان مُصمَّمتان على أن تكونا مفتوحتين مُحدِّقتين دائمًا. على أن صانعها أيًّا كان قد قام بلصق أهدابٍ

طويلة على العينين وشعرٍ مستعارٍ على الرأس، وكان شعرًا أحمر شديد النعومة يجعلك لا تشعر بأصابعك وهي تُمشِّطه إلا عندما يلفت أحدهم انتباهك.

قالت سدلاك -مدير القسم- بينما جثت إلى جوار الدمية وفردت أصابعها ذات الأظفار المطليَّة بالأحمر على صدرها، إن وجوه جميع دُمى التنفُّس بتي مُشكَّلة على نفس وجه فتاة فرنسية واحدة بعد أن ماتت.

قالت لهم:

- «هذه قصة حقيقيَّة.»

هذا الوجه على الأرض هو وجه فتاةٍ منتحرة أخرجوا جثتها من الماء منذ أكثر من قرنٍ كاملٍ. هاتان الشفتان الزرقاوان نفسهما، هاتان العينان الفاترتان المحدِّقتان نفسهما. جميع دُمى التنفُّس بتي مُشكَّلة على نفس وجه هذه الفرنسية الشابَّة التي ألقت بنفسها ذات يومٍ في الماضي في نهر السِن.

لن نعرف أبدًا إن كانت الفتاة قد ماتت بسبب الحُب أم الوحدة، لكن رجال الشرطة وقتها استخدموا الجبس لصياغة قناعٍ للوجه الميت في محاولةٍ للتعرُّف على هويتها، وبعد عقودٍ طويلة أصبح

هذا القناع ملكًا لصانع ألعابٍ ما، استخدمه لتشكيل وجه أول دُمية تنفُّس من طراز بتي.

وعلى الرغم من المخاطرة التي يتضمَّنها أن يميل أحدهم -في مدرسة أو مصنع أو الجيش- على واحدةٍ من هذه الدمى ذات يومٍ ليجد وجه أخته أو أمه أو ابنته أو زوجته، فإن هناك ملايين ممن يُقبِّلون هذه الفتاة الميتة ذاتها. طوال أجيال والملايين يضغطون شفاههم على شفتيها، هاتين الشافتين الغارقتين نفسهما؛ وطوال التاريخ المتبقِّي، وفي كلِّ مكان في العالم، سيستمر الناس في محاولة إنقاذ الفتاة الغارقة نفسها.

هذه الفتاة التي أرادت أن تموت فقط.

هذه الفتاة التي حوَّلت نفسها إلى شيء.

لم يقل أحد هذا الجزء الأخير لفظًا، لكن لا أحد كان بحاجةٍ إلى أن يقوله فعلاً.

إذن، العام الماضي كانت كورا رينولدز مع مجموعةٍ في غرفة الرعاية الصحية لتُخرج دُمية التنفُّس بتي من حقيبتها البلاستيكيَّة الزرقاء. هناك يُمدِّدون الدُّمية على الأرضية المغلَّفة بالمشمَّع ويمسحون فمها بماء الأوكسچين اتباعًا لإجراءات النظافة

الثابتة، وهي واحدة من سياسات قسم الشرطة كذلك. تنحني المدير سدلاك لتضع راحتي يديها على منتصف صدر الدُّمية، على عظمة القَص بالتحديد، بينما يجثو أحدهم ليُغلق الأنف بأصابعه. تبدأ المدير في تدليك الصدر، أما الرجل الجاثي على ركبتيه، وقد وضع فمه على فم بتي المطاطي، فيبدأ في السعال.

يعتدل الرجل مرتكزًا على كعبيه ويواصل السعال، ثم يبصق. تفو! يبصق على أرضيَّة غرفة الرعاية الصحية المغطَّاة بالمشمَّع، ثم يمسح شفتيه بظهر يده ويقول:

- «ما هذه الرائحة النتنة؟»

يحتشد الموجودون حولهم، وكورا رينولدز بينهم، ويقترب الآخرون.

يقول الرجل وهو لا يزال جالسًا القرفصاء:

- «ثمَّة شيء بداخلها.»

ثم يُغطِّي فمه وأنفه بكفه المضمومة، مبتعدًا بوجهه عن الفم المطاطي لكن لا يزال يراه، ويقول للمدير:

- «اضربيها مرَّة أخرى، اضربيها بقوة.»

فتضع المدير المائلة كفيها وأظفارها الحمراء الداكنة على صدر

بتي وتبدأ في الدَّق.

وتخرج فقاعة سميكة من بين شفتي بتي الزرقاوين المطاطيتين؛ سائلٌ ما رقيق القوام أبيض كالحليب ينتفخ ليصبح كحبة من اللؤلؤ، ثم ككرة تنس الطاولة، ثم ككرة البيزبول، ثم ينفجر ملطِّخًا كلَّ شيءٍ ومُطلِقًا رائحة شنيعة في الغرفة.

حتى ذلك اليوم كان يمكن لأيِّ أحدٍ استخدام غرفة الرعاية الصحية؛ يوصد الباب، يفرد السرير النقَّال، ويغفو طوال فترة راحته. إذا أصيب أي أحدٍ بصداع أو شد في العضلات يمكنه أن يجد عدة الإسعاف كلها هناك والضمَّادات والأسپرين. لم يحتج أحد إلى إذنٍ من أحد، وكل ما ستجده هناك هو السرير النقَّال وخزانة صغيرة مزوَّدة بحوضٍ معدني لغسيل الوجه ومفتاح النور على الحائط والحقيبة البلاستيكيَّة الزرقاء التي يحفظون بتي فيها غير موصدة.

الآن تقلب المجموعة الدُّمية على جانبها، ومن رُكن فمها المطاطي تخرج قطرة أولًا، ثم قطرة، ثم قطرة، ثم يخرج خيط رقيق من ذلك الشيء الأبيض لينسكب بعضه على وجنتها الورديَّة ويحتبس بعضه بين شفتيها وأسنانها، بينما يسيل معظمه على

الأرضية المغطَّاة بالمشمَّع.

الدُّمية وقد أصبحت الآن فتاة فرنسية، فتاة غرقت، ضحيَّة نفسها.

الآن يقفون جميعًا وكلٌّ منهم يتنفَّس من وراء يدٍ مضمومة أو منديل، ويرمش من فرط الرائحة التي جعلت العيون تدمع، تنزلق حناجرهم إلى أعلى وأسفل من وراء جِلد الرقبة بينما يبتلعون ويبتلعون لعابهم في محاولةٍ للاحتفاظ بوجبة الإفطار في أحشائهم.

يختطف الرجل الأول زجاجة ماء الأوكسچين ويُلقي رأسه إلى الخلف، يُلقي جرعتين كبيرتين في فمه وينفخ بهما وجنتيه، يرفع رأسه إلى السقف بعينين مغلقتين ويبدأ في الغرغرة، ثم يقذف رأسه إلى الأمام ويبصق ما بفمه في الحوض المعدني الصغير.

ها هي الغرفة، والجميع يتنفَّسون رائحة مبيِّض الغسيل الصادرة عن ماء الأوكسچين، ومن تحتها تأتي رائحة المراحيض تلك من فم بتي. تطلب المدير أن يُحضر أحدهم عدة التحقيق في جرائم الجنس، المماسح القطنية والشرائح والقفَّازات.

كانت كورا رينولدز بين أفراد المجموعة، واقفةً في موضع قريب

للغاية جعلها تتتبَّع أثر الشيء الأبيض اللزج وقد طال بعضه مكتبها. بعد ذلك اليوم وضعت الإدارة قفلاً على الباب وأعطت المفتاح لكورا، ومنذ ذلك الحين عليك إذا أصبت بشدٍّ عضلي مفاجئ أن تضع اسمك على قائمة مع التاريخ والوقت قبل أن تحصل على المفتاح. إذا أصبت بالصداع فعليك أن تطلب حبتي أسپرين من كورا.

تساءل العاملون في معامل الولاية عندما أجروا تحليلاً لكلِّ شيء: أهذه دعابة؟

نعم، لقد أكَّد هؤلاء أن المادة البيضاء اللزجة كانت حيوانات منوية، بعضها يبلغ عمره ستة أشهر كذلك، أي منذ آخر درسٍ لإجراءات التنفُّس الصناعي، وإن كانت كميتها كبيرة للغاية. لكن بعد إجراء اختبارات الحمض النووي، أشارت أجهزة التحليل الوراثي إلى أنها تنتمي إلى نحو أحد عشر رجلاً مختلفًا، وربما خمسة عشر.

من ناحيتهم قال العاملون في القسم إنها دعابة مريضة بالفعل، والآن فلننسَ أمرها.

هذا ما يفعله البشر دائمًا: يُحوِّلون الأشياء إلى ناس، والناس

إلى أشياء.

لا أحد يقول إن العاملين في قسم الشرطة هُم من أخطأوا، أو ارتكبوا مصيبةً بمعنى أصح.

أما بالنسبة لدُمية التنفُّس بتي فلا عجب أن كورا أخذتها معها إلى بيتها. هناك نظَّفت -بطريقةٍ ما- رئتيها، وغسلت شعرها الأحمر المستعار، كما أنها اشترت فستانًا جديدًا لجذعها الخالي من الأقدام والأذرع، بالإضافة إلى عُقد من اللؤلؤ الزائف حول العنق. لم تكن كورا تستطيع إلقاء أيَّ شيءٍ بهذا العجز في القمامة ببساطة. وضعت طلاء شفاهٍ على الشفتين الزرقاوين، وماسكارا على أهداب العينين الطويلة، وأحمر للوجه على الوجنتين. ثم إنها رشَّت عطرًا -الكثير منه- ليُخفي الرائحة، وأضافت قرطين جميلين إلى الأذنين. سيندهش أي أحدٍ إذا عرف أن كورا قضت كلَّ ليلةٍ منذ ذلك الحين جالسةً على الأريكة في شقتها تشاهد التليفزيون وتوجِّه كلامها إلى بتي.

ليس هناك إلا كوري وبتي، تثرثران بالفرنسية.

ومع ذلك لم يصف أحد كورا رينولدز بالعته. هي فقط صاحبة شخصية حسَّاسة.

تقول سياسة القسم إنه كان عليهم أن يلفوا الدُّمية القديمة بالبلاستيك الأسود ويلقونها على رفٍّ علوي بعيد في غرفة الأدلَّة وينسونها هناك -بتي لا كورا- لتظل مهجورة تتعفَّن بين كل أكياس وقوارير الكوكايين والهروين المرقمة، وكل المسدسات والسكاكين التي تنتظر الظهور في محكمةٍ ما. هناك تجد تلك الأكياس والقوارير تتقلَّص، يصغر حجمها أكثر فأكثر، إلى أن يتبقَّى منها ما يكفي بالكاد للإدانة في جنحة. كل هذه الأشياء تُستعمل.

لكنهم كسروا القواعد على كلِّ حال وسمحوا لكورا بأن تأخذ الدُّمية معها.

لا أحد يريد أن تتقدَّم به السن وهو وحيد.

كورا كانت إنسانة طيبة حقًّا، لا تستطيع شراء دمية حيوان واحدة فقط. كان جزء من عملها أن تشتري لعبة لكلِّ طفلٍ يأتي للإدلاء بشهادته، كل طفلٍ مقبوض عليه، وكل طفلٍ هجره أهله ليكبر في دور الأيتام. في متجر الألعاب كانت كورا تلتقط قردًا واحدًا من سلَّة مليئة بدُمى الحيوانات... فقط لتراه بادي الوحدة هكذا في عربة التسوُّق. هكذا تلتقط زرافة لتضعها مع القرد، ثم فيلًا، ثم فرس نهر، ثم بومة، إلى أن تصبح في عربتها حيوانات أكثر من تلك

التي في السلَّة. الحيوانات التي تظل في السلَّة يكون كلٌّ منها تنقصه عين أو بليت أذنه أو فُتحت فيه غرزة ما فخرج بعض الحشو. هذه هي الحيوانات التي لا يريدها أحد.

لا أحد كان يشعر بقلب كورا وهو يهوي في تلك اللحظة كما لو أنه سقط من أعلى ناطحة سحاب في العالم. كان هذا الشعور يترك كورا جِلدًا فقط؛ أنبوبًا من الجلد ذا فتحتين ضيقتين عند طرفيه.

مجرَّد شيء.

تلك النمور الصغيرة المتسخة وكلاب الرنَّة المحشوة وقد تسطَّحت بالكامل والباندا الممزَّقة والبوم المبقَّع ملأت شقة كورا مع الدُّمية بتي. إنها نوع مختلف من غُرف الأدلة لا أكثر.

هذا هو ما يفعله البشر...

لكن مسكينة كورًا. إنها تحاول الآن قطع ألسنة الناس وإصابتهم بالطفيليات، تعيق العدالة، تسرق الممتلكات العامة. ولا أحد يتكلَّم عن سوء استخدام الأقلام والدبابيس وورق الطباعة.

كورا هي التي تطلب مستلزمات الكتابة، وتجمع بطاقات الدوام من الجميع يوم الجمعة، وتُناوِل شيكات الأجر يوم الخميس، وتُسلِّم تقارير المصروفات لقسم الحسابات، وتجيب الهاتف:

«خدمات قضايا الطفل والأسرة»، وتشتري كعكة وبطاقة تهنئة يوقِّع عليها الجميع عندما يحين عيد ميلاد أحدهم. هذا هو عملها.

لم يعانِ أي أحد من أيِّ مشاكل مع كورا قبل وصول الفتى والفتاة الصغيرين من روسيا. الحق أن كورا لم ترَ قط فتاة صغيرة بوجهٍ مليء بالنَّمش وضفيرة ما لم يكن أحدهم قد ضاجعها.

كل ولدٍ مشاكس وكل شيطانٍ صغير يرتدي الأوڤرول ويدس نبلة في جيبه الخلفي، لم تلتق به كورا إلا لأن أحدهم قد أجبره على مصِّ قضيبه. كل ابتسامة طفل تُفصح عن صفين من الأسنان الناقصة هي قناعٌ هنا. كل ركبةٍ متَّسخة بالغبار هي قرينة. كل كدمةٍ هي طرف خيط. كل غمزةٍ أو صيحةٍ أو ضحكةٍ مكتومة لها خانة فارغة يجب أن تُملأ في استمارة الضحية. وظيفة كورا أن تتابع هذه الاستمارات وتتابع الطفل نفسه وكل ملف قضية وكل تحقيقٍ دائر. إلى أن حدث ما حدث كانت كورا رينولدز أفضل مدير مكتب على الإطلاق.

على أن كلَّ شيءٍ يحدث هنا ما هو إلا محاولة للحد من الخسائر، فلا يمكنك أن تعكس مضاجعتك لطفل، ولا يمكنك إعادة هذا الجني إلى الزجاجة مرَّة أخرى. لقد خربت نفسية هذا الطفل

إلى الأبد.

لا، معظم الأطفال يأتون إلى هنا صامتين، تحمل أجسامهم علامات وعلامات، لا يبتسمون وقد بلغوا منتصف العمر بالفعل.

يأتي الأطفال إلى هنا، والخطوة الأولى هي مقابلة التقييم الأولى التي تُجرى على دُمية (مفصَّلة التشريح) تختلف عن الدُّمية (صحيحة التشريح)، لكن كثيرين يخلطون بينهما، وهو ما فعلته كورا نفسها.

الدُّمية المفصَّلة التقليدية تكون مصنوعة من القماش ومخيَّطة كدُمى الحيوانات، ولها خيوط من الصوف بمثابة الشعر. الاختلاف الكبير بين هذه الدُّمية ودُمية (راجيدي آن) هو التفاصيل، حيث تضم قضيبًا لينًا محشوًّا وخصيتين، أو مهبلًا مصنوعًا من قماش الدانتيل، مع خيط سميك مشدود من الخلف لعمل المؤخرة، وزرين مخيَّطين بالصدر على سبيل الحلمتين. هذه الدُّمى يستخدمها الأطفال القادمون لتمثيل جريمة الاعتداء عليهم عليها، شارحين ما فعلته ماما أو بابا أو صاحب ماما الجديد.

يغرس الأطفال أصابعم داخل الدُّمية، يَجرُّونها من شَعرها الصوفي، يُطبقون على عنقها ويرُجُّونها إلى أن يسقط الرأس

المحشو. يضربون الدُّمية ويلعقونها ويعضُّونها ويمتصُّونها، ووظيفة كورا أن تعيد خياطة الحلمتين بالصدر مرَّة أخرى.

كل ما يُفعل بهؤلاء الأطفال يفعلونه بهذه الدُّمى.

لا أحد يسلك هذا المسار الوظيفي مصادفة.

تنفك خيوط الدُّمى من كثرة الأطفال المُنتَهكون الذين ينتهكونها بدورهم. أولادٌ صغار كثيرون امتصُّوا القضيب الوردي نفسه، وفتيات صغيرات كثيرات غرسن إصبعًا أو اثنين أو ثلاثة في المهبل المصنوع من الدانتيل ليمزِّقنه من أعلى وأسفل. تحت الملابس كانت الدُّمى ملطَّخة متَّسخة وقد صارت رائحتها سيئة، والقماش أصبح زغبًا وامتلأ بالندوب حيثما انفتحت الغُرز.

دُميتا الولد والبنت الصغيرين اللتين يعتدي عليهما العالم كله جسديًّا.

بالطبع بذلت كورا كل جهدها للحفاظ على نظافة الدُّميتين. كانت تعيد خياطتهما وتنظيفهما، لكنها فتحت الإنترنت في يومٍ لتعثر على زوج جديد.

في مكانٍ ما في العالم هناك نساء وظيفتهن خياطة مهابل على شكل جيوب وخُصى صغيرة، ثم يُلبسون الدُّمى فساتين

عليها زهور وأوقرولات من الصوف. أرادت كورا هذه المرَّة شيئًا قوي الاحتمال، فدخلت إلى الإنترنت وطلبت زوجًا جديدًا من الدُّمى من صانع ألعاب لم تسمع به من قبل، وخلطت هذه المرَّة بين المفصَّل تشريحيًا والصحيح تشريحيًا من الدُّمى.

طلبت دُمية ولد ودُمية بنت صحيحتين تشريحيًا، أقل سعر ممكن، قويتي الاحتمال، سهلتي التنظيف.

جاء لها محرِّك البحث بدُميتين مصنوعتين في الاتحاد السوفييتي السابق، لهما أذرع وأرجل مرنة وصحيحتان تشريحيًا، بأقل سعر ممكن طبعًا لأن هذه سياسة القسم.

لم يسأل أحدهم فيما بعد لِمَ اشترت هاتين الدُّميتين. عندما وصل الصندوق البني الكبير كخزانة بأربعة أدراج، وعندما رفعه عامل التوصيل على عربة ووضعها إلى جوار مكتبها، وعندما جعلها توقِّع بالاستلام، بدأت كورا تشك في أن هناك شيئًا ما خطأ.

وعندما فتحوا الصندوق ورأوا ما بداخله كان الأوان قد فات.

فتحت كورا الصندوق بمساعدة أحد محقِّقي القسم، ومن الداخل أخرجا قدمًا، قدمَ طفلٍ ذات لوني وردي وأصابع خمسة كاملة.

لوى المحقِّق أحد الأصابع، ونظر إلى كورا التي قالت:

- «هذه أرخص دُمى على الإطلاق. ليست هناك اختيارات كثيرة.»

كانت القدم مصنوعة من المطاط وذات أظفار شفَّافة صلبة. البشرة ناعمة خالية من النمش والشامات والعروق. هنا وضع المحقَّق يده حول الكاحل ورفعه لتظهر ركبة وردية ناعمة، ثم فخذًا وردية، ثم فتاة فتاة وردية عارية معلَّقة من قبضة المحقِّق المرفوعة نحو السقف. سقطت خصلات الشعر الأشقر لتمسح الأرضية، وتدلَّت الذراعان العاريتان على جانبي الرأس، بينما كان الفم مفتوحًا في لهاثٍ صامت كاشفًا عن أسنانٍ بيضاء صغيرة وسقف الفم الوردي الأملس. فتاة صغيرة في عُمر صيد بيض عيد الفصح والعشاء الربَّاني الأول والجلوس على حِجر بابا نويل.

كانت قدم الفتاة معلَّقة من قبضة المحقِّق، والقدم الأخرى متدلية وملوية عند الركبة، وبين ساقيها (على نحو ممتاز -لا صحيح- تشريحيًّا)، كان المهبل الوردي الذي يصبح لونه غامقًا أكثر إلى الداخل.

وفي الصندوق، ناظرًا إليها، وإليهم كلهم، كان الولد الصغير العاري، بينما سقط بروشور مطبوع على الأرض.

أحاطت كورا الفتاة بذراعيها محتضنة إياها كالوسادة، ومدَّت يدها لتقبض على فرخ من ورق التغليف لتضعه حول الجسد الصغير.

هزَّ المحقِّق رأسه مبتسمًا ومغلقًا عينيه، وقال:

- «أحسنت التدبير يا كورا!»

حملت كورا الفتاة وقد ضمَّت يدها لتخفي المؤخِّرة الوردية وأسندت بيدها الأخرى الرأس الأشقر إلى رأسها وهي تقول:

- «هذا خطأ.»

قال البروشور إن الدُّميتين مصنوعتان من السليكون الليِّن، نفس النوع الذي يُستخدم في عمليات تكبير الثدي، ويمكن وضعهما تحت بطانية كهربائية لتمتصَّا الحرارة وتختفظا بها من أجل ساعاتٍ من المتعة. الجلد يُغطِّي هيكلاً مصنوعًا من الألياف الزجاجيَّة المتصلة ببعضها البعض بمفاصل من الصُّلب، والشعر مزروع جديلة جديلة داخل جلد فروة الرأس، لكن ليس هناك شعر على العانة. دُمية الذكر معها قُلفة اختيارية يمكن تثبيتها على

رأس القضيب، ودُمية الأنثى معها غُشاء بكارة بلاستيكي يمكن استبداله وطلبه عن طريق الإنترنت. قال البروشور أيضًا إن كلتا الدُّميتين تتسمان بحَلقٍ ومستقيم عميقين «من أجل الدخول الفمي أو الشرجي القوي.» السليكون مُركَّب ذو ذاكرة ويعود دائمًا إلى شكله الأصلي مهما فعلت، بحيث يمكنك شد حلمات الدُّميتين إلى خمسة أضعاف حجمها دون أن تتمزَّق، بالإضافة إلى عدة أعضاء أخرى مُصمَّمة بحيث «تُلبِّي جميع الرغبات تقريبًا.»، وأضاف البروشور أن الدُّميتين «يمكنهما احتمال سنواتٍ من المتعة العنيفة.» للتنظيف: استخدم الماء والصابون.

وَضْع الدُّميتين في ضوء الشمس المباشر قد يتسبَّب في بهتان العينين والشفتين. هذا هو ما ذكَره البروشور بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية، وما بدا كالصينية.

هناك شهادة ضمان أيضًا بأن الدُّميتين بلا طعمٍ أو رائحة.

في فترة راحتها خرجت كورا لشراء فستان وجينز وتيشيرت، وعندما عادت إلى مكتبها وجدت الصندوق خاليًا. كان حشو الصندوق وورق التغليف متناثرًا في كلِّ مكانٍ على الأرض، والدُّميتان لم تكونا هناك.

سألت موظف الاتصالات في غرفة الحراسة إن كان يعرف شيئًا، فهزَّ كتفيه نافيًا، وفي الاستراحة قال أحد المحقِّقين إن أحدًا لا بد قد احتاجهما في قضية، وهزَّ كتفيه مضيفًا:

- «هذا هو الغرض منهما، أليس كذلك؟»

في البهو الخارجي سألت محقِّقًا آخر إن كان قد رآهما. كانت تضغط الآن على أسنانها في قوة، وبدأت المساحة الصغيرة بين عينيها تؤلمها من فرط ضغط حاجبيها المعقودين عليها. كانت تشعر كأن دمها كله صعد إلى أذنيها ساخنًا متوهجًا كالحمم.

وجدت الدُّميتين جالستين على الأريكة في غرفة المدير، مبتسمتين وعاريتين، بوجهين منمشين وشعورٍ بالحَرَج من لا شيء.

كانت المدير سدلاك تعتصر إحدى حلمتي دُمية الولد بأصابعها ذات الأظفار الحمراء الداكنة وتجذب وتلوي فيها، وبيدها الأخرى تُمرِّر أناملها من أعلى إلى أسفل بين ساقي دُمية الفتاة قائلة:

- «تبًّا، هذا الملمس حقيقي.»

قالت كورا للمدير إنها آسفة، ثم إنها مالت لتمسح شعر الولد بأصابعها وقالت إنها لم تكن تعلم. عقدت ذراعي الفتاة لتُخفيا

صدرها، ثم وضعت ساقًا على ساقٍ من عند الركبة، وفردَت يدي الولد في حِجره، وجلست كلتا الدميتين محافظتين على الابتسامة. كانت عيونهما زجاجيَّة زرقاء وشعرهما أشقر وأسنانهما من البورسلين اللامع.

قالت المدير:

- «آسفة على ماذا؟»

على تبديد موارد قسم الشرطة، قالت كورا، على شراء شيء غالي الثمن كهذا دون معاينته أولًا. كانت تحسب أنها أجرت عملية شراء موفَّقة، لكن القسم سيضطر الآن لاستخدام الدُّميتين الباليتين القديمتين طوال عامٍ آخر، ويجب طبعًا التخلُّص من الدُّميتين الجديدتين.

قالت المدير مُمشِّطة شعر الفتاة الذهبي بأظافرها:

- «لا تكوني سخيفة. سوف نستخدمهما. لست أرى مشكلة في هذا.»

قالت كورا:

- «لكن الدُّميتين حقيقيتان أكثر من اللازم.»

- «إنهما من المطاط.»

- «من السليكون.»

- «إذا أردتِ، يمكنك أن تعتبري كلاًّ منهما واقيًا ذكريًّا يزن70 رطلاً.»

بعد الظهر، وبينما كانت كورا تضع الملابس الجديدة على الولد والبنت، بدأ المحقِّقون يُقبلون على مكتبها ليروا الدُّميتين، وتنوَّعت الأسباب بين استخدامهما في مقابلات القضايا الجديدة والتحقيقات، وطلب الاحتفاظ بهما من أجل إجراء تحقيقٍ سري، واستعارتهما لمدة ليلة للاستعانة بهما في الصباح الباكر من اليوم التالي، ولعطلات نهاية الأسبوع طبعًا، ويُفضَّل الفتاة في هذه الحالة، لكن لا بأس بالولد إذا لم تكن متوفِّرة. مع نهاية اليوم الأول كانت الدُّميتان محجوزتين طوال الشهر التالي كله.

إذا أراد أحدهم الدُّميتين في الحال كانت تعرض عليه الزوج القديم البالي، وفي معظم الحالات كان المحقِّق يقول إنه سينتظر.

كل هذا الفيضان من القضايا الجديدة، ومع ذلك لم يُسلِّم لها أيهم ملفًّا واحدًا.

طوال معظم الشهر تقريبًا كانت كورا ترى الولد والبنت للحظاتٍ خاطفة، فقط الوقت الكافي الذي يتيح لها تسليمهما

للمحقَّق التالي. ثم التالي. ثم التالي. ولم يكن من الواضح أبدًا مَن فعل ماذا، لكن الفتاة كانت تذهب وتجيء، مرَّة بثُقبين للأقراط في أذنيها، ومرَّة في سُرتها، ثم تضع أحمر شفاه، ثم مُعطَّرة برائحةٍ قوية للغاية. عاد الولد ذات مرَّةٍ بوشمٍ لسلسلةٍ من الأشواك حول بطن ساقه، وفي مرَّةٍ أخرى بخواتم فضيَّة صغيرة معلَّقة من حلمتيه، ثم من قضيبه، وفي مرَّة عاد برائحة غريبة في شعره الأشقر.

لا يوجد فارق هنا عن أكياس الماريچوانا في غرفة الأدلة، الغرفة المليئة بالمسدسات والسكاكين. أكياس الماريچوانا والكوكايين التي طالما كان وزنها أخف قليلاً مما يجب أن يكون. غرفة الأدلة كانت دائمًا المحطَّة التالية التي يذهب إليها كل محقَّق يحين دوره في أخذ إحدى الدُّميتين؛ يدس الفتاة تحت ذراعه، وبالذراع الأخرى يعبث بأحد أكياس الأدلة ويضع شيئًا في جيبه.

في غرفة المدير عرضت كورا إيصالات المصروفات الرسميَّة التي يُسلِّمها المحقِّقون ليتم صرفها لهم. هذا إيصال بالإقامة في غرفة فندق لمدة ليلة، نفس الليلة التي اصطحب فيها هذا المحقَّق الفتاة معه من أجل إجراء مقابلة في الصباح التالي. قال المحقَّق إنه

استأجر غرفة الفندق لمراقبة مشتبه به. محقّق آخر، في الليلة التالية ومع الفتاة أيضًا، في غرفة فندق طلب فيها وجبة عشاء كذلك وفيلم پورنو، وقال إنه استأجر غرفة الفندق لمراقبة مشتبه به آخر.

لم تفعل المدير سدلاك شيئًا سوى النظر إليها. كانت كورا مائلة على مكتبها الخشبي وهي ترتجف بقوة جعلت الإيصالات تُصدر صوت حركة في قبضتها المضمومة بقوة.

نظرت إليها المدير فقط وقالت:

- «ماذا تقصدين؟»

- «ما أقصده واضح. »

ضحكت المدير كثيراً وهي جالسة وراء مكتبها الخشبي.

- «اعتبريها واحدة بواحدة.»

وأضافت المدير:

- «كل هؤلاء النساء اللاتي يولولن ويعترضن على مجلات البورنو قائلات إنها تُحوِّل المرأة إلى شيء. ألا يفعل القضيب الصناعي الشيء نفسه؟ أو التبرُّع بالحيوانات المنوية في عيادةٍ ما؟»

بعض الرجال يريدون صوراً لنساءٍ عاريات فقط، لكن بعض النساء لا يردن إلا قضيب الرجل، أو حيواناته المنوية، أو نقوده.

كلا الجنسين يعاني من المشكلة ذاتها مع الحميمية الحقيقيَّة.

- «فكُفِّي عن الثرثرة الفارغة عن دُميتين مطاطيَّتين سخيفتين. اذهبي واشتري لنفسك ڤايبريتور إذا كنتِ تشعرين بالغيرة.»

مرَّة أخرى، هذا ما يفعله البشر...

لم يتوقَّع أحد الاتجاه الذي سيمضي فيه كلُّ هذا.

في اليوم نفسه ذهبت كورا وابتاعت بعض الغراء القوي.

مع الدورة التالية، عندما عادت إليها الدُّميتان قبل أن تُسلِّمهما للرجل التالي، كانت كورا قد وضعت الغراء داخل مهبل الفتاة وداخل فمها وفمه، لاصقةً اللسانين بسقفي فميهما وكل شفتين ببعضهما. ثم إنها وضعت الغراء داخل المؤخِّرتين لتلصقهما تمامًا، لتحميهما.

ومع ذلك، جاء أحد المحقِّقين في اليوم التالي ليسألها:

- «هل لديك موسي يمكنني استخدامه؟ سكين؟ مدية؟»

فتسأله:

- «لِمَ تحتاج هذا؟»

فيجيب:

- «لا شيء. لا عليك. سأجد شيئًا في غرفة الأدلَّة.»

وفي اليوم التالي يعود الولد والبنت وقد تم شَق ما كان قد لُصِق من جديد، محتفظين بنعومتهما لكن مغطَّيين بالندوب والشقوق، ما زالا يحملان رائحة الغراء لكن أيضًا راحة كنفس التي خرجت من دُمية التنفُّس بتي، الجالسة الآن على أريكة كورا وقد خرجت منها بعض البقايا وخلَّفت بضع بُقع. هذه البُقع كانت قطة كورا تظل تتشمَّمها لساعاتٍ لكن لا تلعقها أبدًا. تتشمَّمها كمن يتشمَّمون الغراء أو الكوكايين في غرفة الأدلَّة.

عند هذه النقطة ذهبت كورا واشترت موسيًّا، اثنين، ثلاثة، خمسة.

مع الدورة التالية، عندما عادت الفتاة إلى كورا، تجد هذه تأخذها وتدخل بها الحمام وتُجلسها على حافة الحوض. تستخدم منديلاً ورقيًّا لمسح أحمر الشفاه عن وجنتيها الورديَّتين، ثم تغسل شعر الفتاة المتهدِّل وتُمشِّطه. المحقِّق التالي يطرق باب الحمام بالفعل، وتقول كورا للفتاة:

- «أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة... ستكونين بخير.»

ثم تدس الموسي في عُمق المهبل السليكوني، داخل الفتحة التي يبدو أن رجلاً ما وسَّعها بسكينه. تميل كورا رأس الفتاة إلى الخلف وتدس الموسي الثاني داخل حلقها، ثم الموسي الثالث داخلَّ مؤخرة الفتاة البادي عليها الانتهاك.

عندما يعود الولد إلى مكتب كورًا (وتعود هي لتجده ملقى هناك مقلوبًا على وجهه على ذراع الكرسي)، تحمله إلى الحمام بدوره مع الموسيين الأخيرين.

واحدة بواحدة.

في اليوم التالي يدخل محقِّق جارٌّ الفتاة من شعرها ويُسقطها على الأرض إلى جوار مكتب كورا، ثم يُخرج مفكِّرة وقلمًا من جيب سترته ويسأل:

- «مع من كانت بالأمس؟»

ترفع كورا الفتاة من على الأرض وتُسوِّي شعرها وهي تخبره بالاسم. اسم عشوائي. محقِّق آخر.

يُضيِّق عينيه ويهز رأسه قائلاً «ابن الوثخة!»، فترى نصفي لسانه متصلين ببعضهما البعض بغُرَز جراحيَّة سوداء.

أما المحقِّق الذي عاد بالولد فكان يعرج.

ولا لأثر لأيٍّ موسي من الخمسة.

بعد ذلك لا أحد يعرف كيف حصلت كورا على عينة تلك المادة البيولوچية الخطرة من المختبر الجنائي.

بعدها تجد كلَّ رجلٍ في القسم يقرص ويهرش جلد خصيتيه من فوق السروال، أو يرفع مرفقًا واحدًا كما يفعل القرد ليحك الشعر تحت إبطه. في عقولهم يقولون إنهم لم يمارسوا الجنس مع أحدٍ حقيقي، وعليه لا يمكن أن يكون هذا قمل العانة.

في هذا الوقت تقريبًا، تأتي زوجة أحد المحقِّقين إلى قسم الشرطة وقد عثرت على قطرات الدم الصغيرة التي يتركها قمل العانة في ملابسك الداخليَّة البيضاء أو تيشيرتك الأبيض أو أي ملابس تحتك بشعر الجسم. ربما وجدتها الزوجة في ملابس زوجها الداخليَّة أو في ملابسها هي. هؤلاء ناس متعلِّمون ليست لديهم تجارب مع قمل العانة، لكن الآن يبدو كل هذا الحك منطقيًّا لها.

والآن هذه الزوجة غاضبة إلى أقصى حد.

لم تكن أي زوجةٍ تعرف بالطبع أن هذه هي نفسها الإصابة بقمل العانة من المراحيض العامة لكن باستخدام الدُّمى المطاطية،

والمراحيض العامة هي الحجة التي سيستخدمها كل محقِّق لا شك مع زوجته. كان هذا على كل حال كل ما تحصَّلت عليه كورا من المعمل، فلن تجد هناك بالطبع بكتيريا حلزونية تعيش في السليكون، ولا يمكنك نقل الالتهاب الكبدي الوبائي من دون دم أو لعاب. لا، الدميتان حقيقيتان، لكن ليستا حقيقيتين إلى هذه الدرجة.

قد تنسى أي زوجة الأمر، لكنه سيعود إليها في الأسبوع التالي ليصيبها وأولاده بالزهري، أو السيلان، أو الكلاميديا، أو الإيدز. لكنها الآن تحاصر كورا بالأسئلة عن العاهرة التي يضاجعها زوجها.

نظرة واحدة تلقيها أي زوجة على كورا، بشعرها ذي التصفيفة القديمة وقرطيها الصغيرين والجورب النايلون الذي يصل إلى الركبة والسترة الرسميَّة، ولن ترتاب فيها أبدًا. كورا التي تظهر المناديل المستعملة من تحت كُم سترتها، كورا التي تضع طبقًا مليئًا بالحلوى على مكتبها، وكارتون (السيرك العائلي) معلَّق خلفها.

مع ذلك، لا أحد قال إن كورا رينولدز غير جذابة.

ثم ترى الزوجة المدير سدلاك بأظفارها الحمراء.

لم يشعر أحد بالدهشة عندما تم استدعاء كورا لمكتب المدير.

لا أحد قال لكورا رينولدز إن أيامها أصبحت معدودة.

تجلس كورا على الناحية الأخرى من مكتب المدير الخشبي في الغرفة ذات النوافذ المرتفعة، والمدير جسدها وقد حدَّده ضوء الشمس ومنظر المرآب الخارجي، وبأصابع يد واحدة تشير إلى كورا بأن تميل مقتربة.

تقول المدير:

- «كان من الصعب تحديد ما إن كان فريقي كله من المجانين، أم أنك تبالغين في ردِّ فعلك.»

لم يشعر أحد كيف هوى قلب كورا بين قدميها في تلك اللحظة.

جلست متخشِّبة في مكانها. هذا ما نفعله: نُحوِّل أنفسنا إلى أشياء، ونُحوِّل الأشياء إلى أنفسنا.

هؤلاء الملايين في جميع أنحاء العالم ما زالوا يحاولون إنقاذ بتي. ربما يجدر بهم أن يهتموا بأنفسهم فقط. ربما فات الأوان.

تقول المدير إن الأطفال هُم من يمزِّقون الدُّمى كما هي الحال دائمًا. الأطفال المعتَدى عليهم يعتدون على كلِّ شيءٍ يطولونه. كل ضحية ستجد لها ضحية. إنها دائرة.

وتضيف:

- «أعتقد أن عليك الراحة لبعض الوقت.»

إذا أردت، يمكنك أن تعتبر كورا رينولدز واقيًا ذكريًّا يزن 120 رطلاً...

لم يقل أحد هذا الجزء الأخير لفظًا، لكن لا أحد كان بحاجةٍ إلى أن يقوله فعلاً.

لا أحد يقول لها أن تعود إلى بيتها وتتوقَّع الأسوأ.

كجزءٍ من الاحتفاظ بعملها، عليها أن تعيد دُمية التنفُّس بتي التي كانت قد أبلغت من قبل أنها أخذتها، وعليها تسليم دُمى الحيوانات التي اشترتها من ميزانيَّة القسم، وعليها تسليم مفاتيح غرفة الرعاية الصحية في الحال، وأن تجعل الغرفة والدُّميتين صحيحتي التشريح متاحة لجميع العاملين، وتُقدَّم لهم الخدمة حسب دورهم.

ما شعرت به كورا كان يشبه توقُّفك المفاجئ عند إشارة حمراء بعد قطع مليون ميل بسرعةٍ خارقة. امتزجت الاستقالة بنوعٍ من الراحة. كورا، أنبوب من الجلد ذو فتحتين ضيقتين عند طرفيه. كان شعورًا مقيتًا، لكنه أوحى لها بخطة.

في اليوم التالي لم يرها أحد وهي تتسلَّل إلى غرفة الأدلَّة، حيث السكاكين التي لا يزال بعضها يحمل رائحة الدم، والغراء الذي يمكن لأيِّ أحدٍ استعماله.

كان هناك طابور بالفعل أمام مكتبها، وكلهم ينتظر عودة أحد الطفلين.

كورا رينولدز ليست حمقاء، لا أحد يستغفلها.

يأتي محقِّق بالولد معلَّقًا تحت أحد ذراعيه والفتاة تحت الذراع الأخرى. يضعهما على المكتب، ويندفع المحتشدون نحوهما قابضين على السيقان السليكون الوردية.

لا أحد يعرف من هُم المجانين الحقيقيون.

كورا تحمل مسدَّسًا ما زالت بطاقة رقمه في سجل الأدلَّة تتدلى منه بخيط. تُلوح بالمسدَّس وتشير نحو الدُّميتين قائلة:

- «فليحملهما أحد ويأتي معي.»

لم يكن الولد يرتدي إلا سرواله الداخلي المبقَّع بشيءٍ يشبه الشحم، والفتاة ترتدي بلوزة بيضاء متَّسخة. يرفع المحقِّق الاثنين معًا بيد واحدة ويضمهما إلى صدره بما فيهما من خواتم وأوشام وقمل العانة، برائحة دخان الماريچوانا وذلك الشيء الذي خرج من

بتي.

تُلوح كورا بالمسدَّس وتجعله يمشي نحو باب المكتب.

يحوم الرجال حولها، لكنها تدفع المحقِّق عبر الردهة، ثم مروراً بمكتب المدير وغرفة الرعاية الصحية، ثم إلى اللوبي فمرآب السيارات. ينتظر المحقِّق هناك حتى تفتح سيارتها.

يجلس الولد والبنت في المقعد الخلفي، وتنطلق كورا بالسيارة في عنف، وقبل حتى أن تعبر البوابة المثبَّتة بالسور المعدني يمكنك سماع سارينة السيارات القادمة في الطريق.

لم يكن أحد يعرف أن كورا رينولدز ستكون على أهبَّة الاستعداد: بتي كانت جالسة في المقعد الأمامي، وقد التف وشاح حول شعرها الأحمر، ووُضعت نظارة شمس على وجهها، وتدلَّت سيجارة من شفتيها الحمراوين. لقد عادت الفتاة الفرنسية من الموت. بُعثت وها هي جالسة مثبَّتة بحزام الأمان.

هذه الإنسانة التي تحوَّلت إلى شيء عادت إنسانة الآن.

كانت بقية دُمى الحيوانات -النمور والدُّببة والبطاريق- مصفوفة في نافذة السيارة الخلفيَّة، وقطة كورا بينهم نائمة تحت الشمس، وكُلهم يُلوِّحون وداعًا.

تخرج كورا إلى الطريق السريع وقد تركت إطارات السيارة علامات على الأسفلت مع السرعة المضاعَفة للحد الأقصى التي تنطلق بها، وفي أَثَرِهَا حفنة من سيارات الشرطة تعوي بالأحمر والأزرق، وهليكوبتر، ومحقّقون غاضبون، وأطقم محطات التليفزيون في سيارات بيضاء كبيرة.

لا توجد وسيلة تجعل كورا لا تفوز الآن.

إن معها الولد، ومعها البنت، ومعها المسدَّس.

حتى إذا نفد منهم الوقود فلن يضاجع أحدهم طفليها.

حتى إذا أطلقوا النار على الإطارات، ستُطلق كورا النار على وجهيهما وحلماتهما وأنفيهما. ستتركهما شيئًا لا يرغب أي رجلٍ في وضع قضيبه فيه، وستفعل الشيء نفسه مع بتي.

ثم ستطلق النار على نفسها، لتنقذهم.

أرجو أن تفهمني، لا أحد هنا يُدافع عما فعلته كورا.

لا أحد يقول حتى أنها كانت عاقلة. لكنها فازت في النهاية.

هذا ما يفعله البشر: يُحوِّلون الأشياء إلى ناس، والناس إلى أشياء، مرارًا وتكرارًا، واحدة بواحدة.

هذا هو ما سيجده رجال الشرطة إذا اقتربوا: الدُّمى وقد

تشوهت جثثها، كلهم موتى، والحيوانات غارقة في دمها. كلهم موتى معًا.

لكن حتى هذه اللحظة ما زال خزان الوقود مليئًا عن آخره، ومعها كيس مليئ بالكوكايين من غرفة الأدلة لتظل مستيقظة منتبهة، ومعها كيس من الساندويتشات وزجاجات من الماء، ومعها القطة تقر في نومها.

ليس هناك سوى بضع ساعاتٍ على الطريق السريع بينها وبين كندا.

لكن الأهم من كلِّ شيءٍ آخر أن كورا رينولدز كانت مع عائلتها الآن.

نُشرَت في مجموعة *Haunted*

عن تيم برتون

چوني دپ

في شتاء 1989 كنت في ڤانكوڤر، بريتش كولومبيا، ألعب دورًا في مسلسلٍ تليفزيوني. كنت وقتها في وضعٍ شديد الصعوبة، مرتبطًا بعقدٍ يجعلني أمارس تمثيلاً من نوعية خطوط الإنتاج يكاد -في رأيي- يكون فاشيًّا (رجال شرطة في مدرسة، يا للسخف!)، وبدا لي أن مصيري سيكون إلى واحدٍ من المسلسلين الأهم في ذلك الحين، وكانت خياراتي محدودة للغاية: (1) أن أواصل العمل على أفضل نحوٍ ممكن وبأقل خسائر ممكنة، (2) أن يتم طردي من المسلسل بأسرع وقتٍ ممكن مع خسائر أكثر قليلاً، (3) أن أنسحب من المسلسل، ثم يقاضيني أصحابه ولا يأخذون مني كل ما لديَّ من نقود فحسب، بل كل ما لدى أبنائي وأبناء أبنائي أيضًا كتعويض (وهو ما أتصوَّر أنه كان سيتسبَّب في خسائرٍ فادحة ومشاكل لا تنتهي طوال ما تبقَّى من حياتي وحياة الأجيال القادمة من عائلة دپ أيضًا). كانت معضلة حقيقيَّة كما أسلفت. طبعًا كان الخيار

الثالث خارج الحسابات تمامًا بفضل النصيحة التي أعطاني إياها محاميَّ، وبالنسبة للخيار الثاني فقد فشلت في أن أفشل، وعليه ظلَّ الأول هو الأقرب إلى المنطق، وهكذا قرَّرت أن أواصل العمل في المسلسل بأفضل شكلٍ ممكن.

هذا الحد الأدنى من الخسائر سرعان ما تحوَّل إلى تدمير للذات. لم أكن أشعر بالرضا عن نفسي أو عن فترة السجن التليفزيوني الإجباريَّة هذه، التي وصفها لي وكيلي السابق كأفضل دواءٍ لحالة البطالة التي كنت أعانيها. كنت عالقًا في مكاني، لا أفعل شيئًا إلا ملء الفراغات الزمنيَّة بين الإعلانات، أثرثر بكلماتٍ لكاتبٍ ما لم أستطع إجبار نفسي على قراءتها حتى (ومن ثم غير مدركٍ لنوع السُّم الذي بثَّه المؤلف في النَّص). كنت مشدوهًا، ضائعًا، محشورًا في حنجرة أمريكية بصفتي شاب جمهوري الميول. كنت فتى التليفزيون، الشاب المحبوب، نجم المراهقين. كنت مرسومًا، مصقولًا، مجبرًا على حركاتٍ وسكناتٍ بعينها، براءة اختراع، مزيفًا، بلاستيكيًّا! ولم أرَ مهربًا من هذا الكابوس.

ثم، ذات يوم، أرسلت لي وكيلتي الجديدة سيناريو كان بمثابة هبة من السماء. كانت قصة عن ولد لديه مقصَّات مكان يديه، منبوذ

بريء يسكن الضواحي. التهمت السيناريو في الحال، وبكيت كطفلٍ خرج من رحِم أمه للتو. ومصدومًا من حقيقة أن هناك أحدًا عبقريًا بما فيه الكفاية ليتخيَّل قصة كهذه، ناهيك عن أن يكتبها، شرعت في القراءة مرَّة أخرى. كنت متأثرًا بالقصة إلى أقصى حد، ما جعل أمواجًا من الصور تغمر مخيلتي؛ صور الكلاب التي كانت لديَّ وأنا طفل، شعوري بالعزلة والبلادة وأنا أكبر، الحب غير المشروط الذي يملك الأطفال والكلاب وحدهم النضج الكافي ليمنحوه. شعرت بارتباطٍ غير طبيعي بهذه القصة إلى درجة الهوس. لقد قرأت كل ما وقعت عليه يدي من قصص الأطفال والحكايات الخرافيَّة وكتب علم نفس الأطفال؛ كل شيء وأي شيء... ثم عُدت إلى عالم الواقع من جديد. إنني فتى التليفزيون، ولا مخرج عاقلاً يمكنه جعلي ألعب هذه الشخصية. لم أكن قد مثَّلت من قبل دورًا ينم عن قدرتي على لعب شخصية كهذه، فكيف يمكنني إقناع المخرج بأنني أصلح لأن أكون إدوارد؟ بأنني أعرفه الآن تمامًا من الداخل والخارج؟

كان احتمال قيامي بالدور مستحيلاً في نظري.

تم تحديد موعد للقائي بمخرج الفيلم، تيم برتون، فاستعددت

للقاء بمشاهدة أفلامه الأخرى -(باتمان) وغيره- ومع انبهاري بالموهبة الساحرة التي يملكها هذا الرجل، صرتُ أكثر يقينًا من أنه لن يتصوَّرني ألعب الشخصية بدوره أبدًا. أنا نفسي كنت أشعر بالخجل من تخيُّل نفسي في شخصية إدوارد، لكن بعد محادثاتٍ طويلة مرهِقة مع وكيلتي (شكرًا يا ترايسي)، أجبرتني في النهاية على الذهاب ولقائه. هكذا طرت إلى لوس أنچليس واتجهت مباشرةً إلى مقهى الفندق مكان اللقاء، حيث ينتظرني برتون ومنتجته دينيس دي نوڤي. دخلت المقهى أدخِّن في شراهة باحثًا عن العبقري الذي ينتظرني (ولم أكن أعرف شكله)... ثم، ها هو ذا! رأيته جالسًا إلى مائدةٍ وراء صفٍّ من أُصُص النباتات يشرب قدحًا من القهوة. جلست وبدأنا نتكلَّم... نوعًا ما. سأفسِّر هذه النقطة لاحقًا.

رجلٌ شاحب الوجه، ضعيف البنية، حزين العينين، ذو شعرٍ ثائر يقول أشياء أكثر بكثير من مجرَّد صعوبة في النوم ليلة أمس. لو كان هناك شيء كمشطٍ ذي قدمين لكان قد ولَّى الأدبار أسرع من أسرع عدَّاء لو ألقى نظرة واحدة على خصلات شعره المتشابكة: كتلة غير متجانسة شرقًا، وأربع شعيرات غربًا، ثم دوامة، وبعدها فوضى شمالًا وجنوبًا. أذكر أن أول خاطر تردَّد في ذهني هو «نم

قليلاً!»، لكنني لم أقله علنًا بالطبع.

ثم كانت المفاجأة التي كانت بمثابة مطرقة تزن طنين ارتطمت بوجهي: يداه، والطريقة التي يلوِّح بهما في الهواء بصورةٍ تكاد تكون خاوية تمامًا من التحكُّم، الطَّرْق على المائدة في عصبية، طريقة الكلام المتكلِّفة -وهي صفة يشترك فيها كلانا- والعينان المتسعتان اللتان ترمقان الفراغ؛ عينان فضوليَّتان رأيتا الكثير لكنهما تلتهمان كل ما تقعا عليه. هذا المجنون شديد الحساسية هو نفسه إدوارد ذو اليدين المقصَّات.

بعد أن شربنا معًا نحو ثلاثة أو أربعة أباريق كاملة من القهوة، وكلٌّ منا يتعثَّر في عبارات الآخر غير المكتملة، دون أن يُنقص هذا من فهم أينا للآخر شيئًا، أنهينا اللقاء بـ«سُررت بلقائك» وتصافحنا. غادرت المقهى ماضغًا ملعقة القهوة البلاستيكيَّة ككلبٍ مسعور وقد حلَّ الكافيين محل الدم في عروقي. كانت مشاعري قد ازدادت سوءًا الآن، بعد الرابط الصادق الذي شعرت به خلال جلوسي مع الرجل، سواءً من التقدير المتبادل لمُبيِّض القهوة المصنوع من الحليب البقري، أو الغرام الغريب بعناقيد العنب المصنوعة من المطاط، أو المشاعر المركَّبة والقوة الخام التي نجدها

في صورة من المخمل لإلڤيس پريسلي، أو الاحترام الهائل لـ(هؤلاء الذين ليسوا من الآخرين). كنت متأكِّدًا من أننا نستطيع العمل جيدًا معًا، وواثقًا بأنني -إذا مُنحت الفرصة- فسوف أنجح في تجسيد رؤيته الفنية لشخصية إدوارد. لكن فرصتي كانت في أفضل الأحوال ضعيفة إن وُجدت أصلاً، فقد كان هناك من هُم معروفون أكثر مني بكثير موضوعين في الاعتبار للقيام بالدور، بل كانوا يصارعون ويقاتلون ويركلون ويصرخون ويتوسَّلون للقيام به. مخرج واحد فقط أثنى عليَّ، هو العظيم چون ووترز، الذي أحمل وتيم له كل الاحترام والتقدير. لكن هل كان تيم برتون سيرى فيَّ شيئًا يستحق المخاطرة؟ كان هذا أملي.

أسابيع مرَّت وأنا أنتظر دون أن يبلغني أي شيء، ومع ذلك واصلت دراستي للدور طوال الوقت، فلم يكن الآن مجرَّد شيء أردت فعله، بل بات شيئًا يجب أن أفعله، ليس بدافع الطموح والجشع وأرباح شباك التذاكر، بل لأن هذه القصة صارت الآن تستوطن قلبي وترفض الخروج منه نهائيًا.

ماذا أفعل إذن؟ في تلك المرحلة كنت على وشك الاستلام لحقيقة أنني سأظل فتى التليفزيون دائمًا.

ثم رنَّ الهاتف، فرفعت السماعة، وقلت أن ألو.

قال الصوت على الهاتف ببساطة:

- «چوني، أنت إدوارد سيزورهاندز.»

خرجت (ماذا؟) من حنجرتي تلقائيًّا.

- «أنت إدوارد سيزورهاندز.»

وضعت السماعة وتمتمت بالكلمات لنفسي. ثم تمتمت بها لكل من التقيت. لم أكن أصدِّق. برتون كان مستعدًّا للمغامرة بكلِّ شيءٍ من أجل أن أقوم بالدور، ضاربًا آمال وأحلام ورغبات الستوديو الكبير في أن يلعب الدور نجم معروف مضمون الأرباح عرض الحائط. أصبحت متدينًا في اللحظة نفسها وقد تأكَّدت من أن يدًا إلهية لعبت دورًا ها هنا لا ريب. لم يكن الدور بالنسبة لي خطوة في مساري المهني، بل كان يعني الحرية؛ حرية أن أخلق وأختبر وأتعلَّم وأطهِّر نفسي. لقد أنقذني من عالم التليفزيون المسدود هذا الرجل العبقري غريب الأطوار، الذي قضى شبابه يرسم صورًا غريبة شاعرًا مثلي بالعزلة والبلادة (وهو ما عرفته لاحقًا). شعرت كأنني نلسون مانديلا، وقد خرجت من براثن هوليوود أرض الغرائب التي لا تملكَ فيها أي سُلطة على ما تريد فعله حقًّا.

الحقيقة الخالصة أنني مدين بمعظم النجاح الذي حقَّقته لهذا اللقاء شديد الغرابة مع تيم، وأعتقد أنني لولاه لكنت أخذت بالخيار رقم (3) وانسحبت من المسلسل اللعين وأنا لا أزال أملك ذرَّة من المصداقية.

أؤمن كذلك أن هوليوود، بسبب إيمان تيم بي، قد فتحت لي أبوابها على مصاريعها سالكةً خطاه.

منذ ذلك الحين عملت مع تيم مرة أخرى في فيلم (إد وود). كان قد عرض عليَّ الفكرة ونحن جالسين إلى مشرب أحد المقاهي في هوليوود، وخلال عشر دقائق كنت قد قرَّرت القيام بالدور. بالنسبة لي يكاد لا يهم ما يريد تيم عمله في أفلامه، فسأقوم به أيًّا كان. هذا لأنني أثق به تمامًا؛ أثق برؤيته وذوقه وحاسة الدعابة لديه وقلبه وعقله. هو بالنسبة لي عبقري حقيقي، وأنا -صدِّقني- لا أستخدم هذه الكلمة مع كثيرين. إنك لا تستطيع وصف ما يفعله. هو ليس سِحرًا، لأن هذا يتضمَّن نوعًا من الخداع. وليس مهارة، لأن المهارة شيء تكتسبه. ما يتمتَّع به تيم برتون هو موهبة شديدة الخصوصيَّة لا تراها كلَّ يوم، وليس من الكافي أن تُطلق عليه مسمى (صانع أفلام)، بل (عبقري) هو الوصف الأصدق، ليس في

الأفلام فقط، بل في الرسم والتصوير والتفكير وإلقاء الملاحظات والأفكار كذلك.

عندما طُلب مني أن أكتب مقدِّمة هذا الكتاب، اخترت أن أحكي القصة من منظور ما كنته في الوقت الذي أنقذني فيه: فاشل، طريد، قطعة من اللحم الهوليوودي يسهل التخلُّص منها.

من الصعب جدًا أن تكتب عن شخصٍ تتعلَّق به وتحترمه كل هذا الاحترام وتربطك به هذه الصداقة الوثيقة، وليس أقل صعوبة أن تكتب عن علاقة العمل بين المخرج والممثل. سأكتفي إذن أن أقول، بالنسبة لي، إن تيم لا يحتاج إلا لقول بضع كلماتٍ غير مترابطة، أو يميل برأسه مضيقًا عينيه أو ناظرًا لي نظرة معيَّنة، لأعرف ما يريده مني في هذا المشهد أو ذاك بالضبط؛ ولقد بذلت كل جهدي دائمًا كي أكون عند حُسن ظنه. هكذا، كي أقول ما أشعر به نحو تيم، لا بد أن يكون هذا على الورق، لأنني إذا عبَّرت له عنه وجهًا لوجه، فإنه سينفجر ضاحكًا في الغالب ثم يلكمني في وجهي.

إنه صديق، فنان، عبقري، غريب الأطوار، مجنون، لَمَّاح، شجاع، طريف إلى أقصى حد، مخلص، مستقل، صادق. أدين له بالكثير جدًا وأحترمه كثيرًا جدًا. إنه هو، وهذا كل شيء.

لم أرَ قط أحدًا لا منتمٍ ينتمي بهذه السَّلاسَة، لكن هذا هو طرازه الفريد.

مقدِّمة كتاب *Burton on Burton* المنشور سنة 1994

ثلاث صُوَر

ڤيرچينيا وولف

الأولى

من المستحيل ألا يرى المرء منا الصُّور، فإذا كان أبي حدَّادًا وأبوك من علية القوم، فمن الضروري أن كلاًّ منا يرى صورةً ما في الآخر بطبيعة الحال، ولا أحد منا يستطيع الهرب من إطار الصورة مستخدمًا الكلمات التقليديَّة. هَب أنك تراني مستندةً إلى باب ورشة الحدادة أحمل حدوة حصان في يدي، فتقول في سريرتك وأنت تمر بي: «هذا المشهد يصلح لصورة!»، بينما أراك أنا جالسًا في استرخاء في سيارتك الفارهة وكأنك على وشك الانحناء للجماهير، وأفكِّر في أنك صورة لإنجلترا الأرستقراطية بكل ما فيها من بذخ! كلانا مخطئ تمامًا في تصوُّره لا شك، لكن هذا مُحتَّم.

عند منعطف الطريق رأيت واحدةً من تلك الصُّور، ولعل شيئًا على شاكلة «عودة البحَّار إلى الوطن» كان يصلح اسمًا لها.

بحَّار شاب وسيم يحمل صُرَّة في يده، فتاة تضع يدها على

ذراعه، الجيران مجتمعون حولهما، وحديقة كوخٍ صغير ملأى بالزهور... مع مرورك كنت لتقرأ على قاعدة الصورة أن البحَّار عاد لتوِّه من الصين، وأن وجبةً شهيةً تنتظره بالداخل، وأنه يحمل هدية لزوجته الشابَّة في صُرَّته، وأنها ستحمل طفلهما الأول قريبًا. كلُّ شيءٍ كان مضبوطًا سليمًا كما ينبغي أن يكون، وهذا هو الانطباع الذي كنت لتستمدَّه من الصورة.

ثمَّة شيءٌ ما جميل كان ليُشعرك بالرضا إذا رأيت كلَّ هذه السعادة؛ كنت لترى الحياة أجمل وترغب في أن تنغمس فيها أكثر.

دارت هذه الخواطر في رأسي وأنا أمر بهم محاولةً ملء الصورة قدر الإمكان، إذ لاحظت لون فستانها ولون عينيه، ولمحت القطة المشمشيَّة وهي تنسل داخل الكوخ.

ظلَّت الصورة مصاحبةً لعينيَّ بعض الوقت، جاعلةً معظم الأشياء تبدو أكثر بهجةً ودفئًا وبساطةً من المعتاد، وجاعلةً بعض الأشياء تبدو حمقاء، وبعض الأشياء صحيحًا، وبعض الأشياء خطأً، وبعضها ذا معنى أكثر من ذي قبل. في لحظاتٍ غريبة في ذلك اليوم والذي تلاه كانت الصورة تعود إلى مخيِّلتي، لتجعلني أفكِّر في لُطفٍ -لا يخلو من حسد- في البحَّار وزوجته، وأتساءل

ماذا يقولان وماذا يفعلان الآن؛ وتفتَّق الخيال عن صورٍ أخرى وأخرى انبثقت من الصورة الأولى.

صورة للبحَّار وهو يقطع الحطب، يسحب الماء من البئر، يحكي لامرأته الشابَّة عن الصين، وقد وضعت هديته لها على رف المدفأة، حيث تظل ظاهرةً لعيان كل من يأتون لزيارتهما... هي تحيك ملابس مولودها القادم والنوافذ والأبواب كلها مفتوحة على الحديقة، لتنصب رفرفة الطيور وأزيز النحل إلى الداخل، وروچرز (كان هذا اسمه) يُعبِّر عن كم ارتياحه ها هنا مقارنةً ببحار الصين، وقد شرع يُدخِّن غليونه مادًّا ساقيه إلى الحديقة.

الثانية

دوَّت الصرخة الرهيبة في أنحاء القرية في قلب الليل المُدْلَهِمِّ، ثم جاء صوت يشبه خطواتٍ سريعة، وبعده الصمت التام.

كل ما كان يمكن رؤيته من النافذة هو فرع شجرة الليلك الساكن على الناحية الأخرى من الطريق. كانت ليلة حارَّة بلا قمر، والصرخة جعلت كل شيء منذرًا بالخطر.

من صرخت؟ ولِمَ صرخت؟

كانت صرخة امرأة جعلتها حدَّتها تكاد تكون بلا جنس، بل

وبلا تعبير، كأن الطبيعة البشرية نفسها صرخت في وجه شرٍّ ما أو رعبٍ ما لا يمكن وصفه.

ران الصمت ثقيلاً، وجاء ضوء النجوم بارداً ثابتًا. لا حراك في الحقول، لا حركة في الأشجار. لكن كل شيء كان يحمل الآن سمت الذنب والإدانة، سمت الشرور. خطر لي أن شيئًا لا بد أن يحدث الآن، أن يلوح ضوء ما يتحرَّك في ارتباك، أن يظهر أحدهم راكضًا في الطريق. المفترض أن تُضاء الأنوار وراء نوافذ البيوت، ولربما تصدر صرخة أخرى لكن أكثر تعبيراً وربما أكثر هدوءًا. لكن لا ضوء ظهر ولا أقدام ركضت ولا صرخة ثانية دوَّت. ابتلع الليل الصرخة الأولى، ولم يبق إلا الصمت.

تمدَّدتُ في الظلام مرهفةً أذنيَّ. كان مجرَّد صوتٍ بلا أيِّ شيءٍ يربطه بأيِّ شيء، بلا صورة من أيِّ نوعٍ تصف فحواه وتجعله مفهومًا للعقل. وإذ ذهب الليل أخيراً كان كل ما رأيت هو شبح غير واضح المعالم لإنسانٍ يرفع ذراعه العملاقة في وجه شرٍّ مستطير.

الثالثة

ظلَّ الطقس معتدلاً، ولولا تلك الصرخة الوحيدة التي تردَّدت

ليلاً لحسبت أن الأرض كفَّت عن الدوران وأن الحياة تجمَّدت أو لجأت إلى كهفٍ هادئ وسكنت هناك. لكن الأصوات عادت، وأينما رُحت -في جولةٍ طويلة بين التلال مثلاً- كنت لتشعر بشيءٍ يتقلَّب في اضطراب تحت السطح، جاعلاً كل السلام والاستقرار البادِيين غير حقيقيين بشكلٍ ما.

كانت الخراف مجتمعةً عند جانب التل، والوادي امتد كأمواجٍ مدرَّجة كسقوط المياه الملساء. بلغتُ بيت مزرعة رأيت عنده جروًا يلعب في الباحة والفراشات تطفر مرحًا بين الزهور. كلُّ شيءٍ كان هادئًا مسالمًا تمامًا، لكن فكرة الصرخة التي مزَّقت كل هذا الهدوء ظلَّت تلاحقني. كل هذا الجمال كان شريكًا بالصمت في الليلة السابقة إذ وافق على أن يظل كما هو لا يتبدَّل. كل هذا الجمال والسلام كان على السطح فقط.

ثم إنني، كي أطرد هذه الأفكار الكئيبة من رأسي، عُدت إلى صورة البحَّار العائد. رأيتها مرَّة أخرى وهي تغزل تفاصيل صغيرة عديدة أخرى: لون فستان الفتاة الأزرق، الظِّل الذي ألقته الشجرة الصفراء المزهرة... تلك التفصيلة الأخيرة لم تُستخدم من قبل.

لقد وقفا عند باب الكوخ وصُرَّته على ظهره وهي تمس كُم

قميصه بيدها بخفَّة، والقطة المشمشية تنسل إلى الداخل. هكذا ظللت أمر على تفاصيل الصورة بالتدريج إلى أن أقنعت نفسي إلى حدٍّ ما بأن الاحتمال الأعظم أن الهدوء والقناعة والسلام هي الأشياء التي تستقر تحت السطح أكثر من كلِّ شيءٍ آخر مشؤوم، بأن الخراف وأمواج الوادي وبيت المزرعة والجرو اللاهي والفراشات الراقصة في كلِّ مكان. هكذا عُدت أدراجي وأنا أفكِّر في البحَّار وزوجته، وفي عقلي صورة بعد صورة لهما كي تتراكم طبقات الصور فوق الصرخة الشنيعة إلى أن تكتمها وتقتلها.

ها هي القرية أخيراً وباحة الكنيسة التي لا بد أن أمر بها. هناك خطر لي الخاطر المعتاد ذاته، أن المكان شديد الهدوء شديد السلام بأشجاره دائمة الخضرة والشواهد المصقولة والقبور التي بلا اسم.

الموت مبهج هنا! نعم. انظر إلى تلك الصورة! كان الرجل يحفر قبراً ويلهو الأطفال إلى جواره، وبينما يُلقي هو أكوام الثَّرى الصفراء بالمجرفة على جانب القبر، كان الأطفال يلتهمون الخبز والمربى ويشربون الحليب من أكوابٍ فخارية كبيرة، وإلى شاهد قبرٍ ارتكنت زوجة الدفَّان (وكانت امرأة بدينة حسناء)، وفردت

مريلتها على العشب إلى جانب القبر المفتوح لتضع عليها أقداح الشاي، وإن تناثرت بعض قطع الطمي بين الأقداح.

سألتُ:

- «لمن القبر؟ هل مات دودسون العجوز أخيراً؟»

نظرت لي زوجة الدفَّان وأجابت:

- «لا، إنه روچرز البحَّار. لقد مات منذ ليلتين بحمى غامضة. ألم تسمعي زوجته؟»

ثم نادت على أحد أبنائها موبخةً إياه على التراب الذي لوَّث نفسه به.

ويا لها من صورة!

نُشرَت في *Death of the Moth and Other Essays*

عام 1942

سببٌ آخر لعدم احتفاظي بمسدَّس

في البيت

بيلي كولنز

كلبُ الجيران لا يكف عن النباح
يُطلق نفس النباح الإيقاعي العالي
كما يفعل كلما غادروا المنزل
لا بد أن له مفتاحًا يُشغِّلونه به وهُم في الطريق إلى الخارج
كلبُ الجيران لا يكف عن النباح
فأُغلِقُ جميع نوافذ البيت
وأشغِّل سيمفونية لبيتهوفن بأعلى صوت
لكنني لا أزال أسمع نباحه المكتوم تحت الموسيقا
ينبح... وينبح... وينبح...
والآن أراه جالسًا في صفوف الأوركسترا
برأسٍ مرفوعٍ بثقةٍ
كما لو أن بيتهوفن قد أضاف دورًا للكلب

وعندما تنتهي الاسطوانة أخيراً تسمعه لا يزال ينبح
يجلس، يعزف على المزمار، وينبح
ويرمق المايسترو بثباتٍ إذ يستعطفه بعصاه
وبقية العازفين جالسون في احترامٍ صامت
يُصغون إلى سولو الكلب الشهير
إلى نهاية السيمفونية التي لا تنتهي
تلك التي جعلت من بيتهوڤن العبقري الذي نعرفه

الجسر

فرانز كافكا

كنتُ متصلِّبًا متيبِّسًا باردًا في مكاني، فأنا جسرٌ يمتد فوق وهدٍ صغيرٍ ضيِّق. أصابع قدميَّ على جانبٍ، وأصابع يديَّ متمسِّكة بالجانب الآخر وقد تثبَّتُ بكلِّ قوتي بالطمي المتفتِّت وأخذَت أذيال معطفي تُرفرف على جانبيَّ، وأسفلي على مسافةٍ بعيدة يهدر النهير الحافل بأسماك السلمون المرقَّط. لا أحد من السائحين يجيء إلى هذا الارتفاع الذي يتعذَّر عبوره، إذ لم يتم رسمي بعد على أيِّ خريطة. هكذا أقبعُ في مكاني وأنتظرُ، فليس في حيلتي إلا الانتظار، ولا جسر بوسعه أن يكف عن أن يكون جسراً بمجرَّد أن يُشيَّد.

ثم كان ذلك اليوم الصيفي قبل حلول المساء بقليل (هل كان اليوم الأول؟ هل كان اليوم الألف؟ لا أدري حقًّا، فلطالما كانت أفكاري مشوَّشة وتدور طوال الوقت في دائرةٍ لا تنتهي) وقد تعالى هدير النهير أسفلي، عندما سمعتُ وقع خطوة آدميَّة! خطوة آدميَّة آتية

إليَّ، إليَّ أنا! فلتعتدل وتُقوِّم نفسك أيها الجسر، فلتنتبه وتستعد وتشحذ عوارضك وقوائمك لتحمل عابر السبيل الذي عهد بنفسه إليك. إذا كانت خطواته غير ثابتةٍ فلتُثبِّتها خلسةً دون أن يلحظ، لكن إذا تعثَّر فلتُره معدنك الحقيقي وتقذفه إلى الجانب الآخر كأنك إله الجبال.

جاء الغريب ونقر عليَّ برأس عصاه الحديدي، ثم رفع أذيال معطفي به وسوَّاها فوقي. غرس الغريب رأس العصا في شعري الكثيف وتركه هناك لوقتٍ طويل ناسيًا أو متناسيًا إياي لا ريب وهو يتلفَّت حول نفسه. على أنه -وقد كنتُ أتابعه بأفكاري فقط بين الجبال والوديان- وثب فجأةً بقدميه على منتصف جسدي، فارتجفتُ بألمٍ عاتٍ دون أن أعي ما يحدث.

من هذا؟ أهو طفل؟ حُلم؟ شريد؟ منتحر؟ شيطان؟ مدمِّر؟

ولقد التفتُّ كي ألقي عليه نظرة... لكن فكرة أن يلتفت جسر تلك!

لم أكن قد التفتُّ تمامًا عندما بدأتُ في التهاوي بالفعل، وفي لحظاتٍ كنتُ قد سقطتُ وتهدَّمتُ واخترقتني صخور الوهد الحادَّة التي لطالما رمقتني بنظرات السلام من وسط المياه المتدفِّقة.

نُشرَت في الأعمال القصيرة الكاملة.

الانتقام أن تكتب فيلمًا عن الفتاة التي تخلَّت عنك

لعلَّ هذا أعظم انتقام على الإطلاق في تاريخ السينما. عندما تخلَّت فتاة بريطانية عن الأمريكي سكوت نيوستاتر، فإنها لم تجرح كبرياءه فحسب، بل دفعته إلى كتابة فيلم عن القصة، فيلم أصبح من أشهر الأفلام وأنجحها في السينما الأمريكية.

المقال عن فيلم *Days of Summer 500* بقلم مؤلِّفه وبطل قصته الحقيقيَّة، ونُشر في جريدة *The Daily Mail* في أغسطس 2009.

تحتوي تترات البداية في فيلمي على إخلاء الطرف القانوني التقليدي الذي ينص على أن «أيَّ تشابهٍ مع شخصيَّةٍ حيَّة أو ميتة يُعد من باب الصدفة»، إلا أنه يضيف بعدها: «بالذات أنت، چيني بكمان، أيتها الحقيرة.»

بالطبع يقول لك هذا الكثير عن مشاعري عندما قرَّرت هي إنهاء علاقة أردتُ بكل جوارحي -وإلى حدٍّ مثير للشفقة- أن تنجح، وهذا على الرغم من أنها كانت ترى دومًا، وبوضوح، أن لا مستقبل لنا معًا (هناك الكثير من الجدل على الإنترنت عما إذا كان هذا اسمها الحقيقي، لكنني لن أفصح).

كنتُ قد رأيتها للمرَّة الأولى على الجانب الآخر من غرفة في أكتوبر عام 2002، عندما التحقتُ بكلية الاقتصاد في لندن للحصول على درجة البكالوريوس في الإعلام والاتصالات، وعلى الفور تقريبًا خطرت لي فكرتان: الأولى أنني وجدتُ فيها بالفعل ما كنتُ أبحث عنه بالضبط، والثانية أن النهاية ستكون سيئة إلى أقصى حد.

كنتُ وقتها أعاني بقايا علاقة سابقة انتهت قبل شهور في نيويورك، عندما كنت أعمل لحساب شركة إنتاج سينمائي. كنت معتزلًا العالم محاطًا بالكآبة. لا بد أنك تعرف الموقف جيدًا: الليالي بلا نوم، وأيام طويلة أقضيها في مشاهدة الأفلام السويدية وسماع الموسيقا بلا توقُّف.

لكن اكتئابي تلاشى عندما التقيت هذه الفتاة في لندن، وامتلأ

قلبي بالحب، وشعرت بأن يدًا إلهية هي صاحبة كل هذا. بدأنا نتكلَّم، ووجدنا أن لدينا الذوق نفسه في الكتب والموسيقا، وخطر لي أن لهذا دلالة ما لا ريب، أليس كذلك؟

كنت غارقًا في الحب حتى الثمالة، لكنني لم أخبرها بأيِّ شيء، فهي لم تُبد أيَّ لمحة اهتمام بي على الإطلاق. على أنني أخبرت كل من عداها من الأصدقاء المشتركين تقريبًا، ومن ثم أخبرها أحدهم بالحقيقة في حفلٍ ما، وأفضى هذا إلى تمشيةٍ غير مريحة معها إلى محطة الأتوبيس، لكن كلَّ شيءٍ تغيَّر عندما قبَّلتني في نهاية الطريق.

ثم إننا قرَّرنا -في الواقع قرَّرت هي- ألا نضع تسمية بعينها لعلاقتنا، لا صاحب وصاحبة أو أي شيء من هذا. المسمَّيات تعني الاستحواذ، وهذه الفتاة كانت سيدة نفسها. لم أمانع، فمن يبالي بالمسمَّى الذي نُطلقه على نفسينا طالما هي معي؟

اعتبرتُ الموقف عصريًّا ثقافيًّا... إلى آخره من الأشياء التي خالفت الواقع تمامًا من ارتباك وحيرة وعزلة. بعض أيامنا معًا كان رائعًا لا شك، وما زالت لديَّ ذكريات جميلة عنا ونحن نحتسي النبيذ ونشاهد العروض الموسيقية ونختلس القبلات في المصاعد،

أما معظم الأيام الأخرى فكان شنيعًا إلى درجةٍ يصعب نسيانها؛ وفي النهاية أفصحت هي عما كنت أعرفه طوال الوقت في أعماق قلبي، أن ذلك الشيء، ذلك الذي بيننا أيًّا كان، لن ينجح بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

هكذا عدتُ إلى الولايات لأجد نفسي من جديد في دوامة الأفلام السويدية والموسيقا.

قلتُ لنفسي إن الحكاية كلها كانت خطأ كبيراً. يد إلهية؟ يا للهراء! كان صديقي مايكل هـ. وبر قد بلغ به الملل أقصاه بالطبع من اكتئابي، فقرَّرنا تحويل هذه المشاعر إلى شيءٍ ذي قيمة، أي إلى نصٍّ سينمائي.

طبعًا عشتُ كلَّ لحظةٍ مؤلمة وغير مؤلمة من حبي الذي كان أحادي الطرف من جديد، لكن التجربة كانت مُطهِّرة للنفس، والنتيجة كانت فيلمًا لا بأس به على الإطلاق، وهو ما صدمنا في الحقيقة!

يحكي الفيلم القصة كما حدثت بالضبط، حتى عندما صوَّرني مُخلصًا كالكلاب وصوَّرها غير مبالية بأيِّ شيء. يختلف مكان الأحداث في الفيلم عن الواقع، بالإضافة إلى الأسماء كذلك، فتوم

هانسن -أنا!- لعب دوره چوزيف جوردون ليڤيت الذي يكتب الرسائل على البطاقات البريديَّة، والفتاة التي حطمَّت قلبه -سمر- هي زوي ديشانل التي تعمل سكرتيرة في المكتب نفسه. على أن شيئًا لم يتغير إطلاقًا في النهاية التي لن أحرقها على من لم يشاهد الفيلم، بل سأكتفي بأن أقول إنه لم تكن هناك نهاية سعيدة لقصة توم وسمر، تمامًا كنهاية قصتي مع چيني بكمان.

لقد استطعت بفضل هذا السيناريو وعملية كتابته تحرير نفسي من البؤس الذي أغرقني، وها أنا ذا قد مرَّ عليَّ عامان في علاقةٍ أخرى تُشعرني بسعادة لم أعرفها من قبل أبدًا.

فقط ثمة ملاحَظة أخيرة مثيرة للاهتمام: بعد كتابة السيناريو التقيت بچيني للمرَّة الأولى والوحيدة بعد انفصالنا. يومها تناولنا العشاء في مطعم في كاليفورنيا، وتكلَّمنا عن الحياة والأصدقاء وخلافه، عن كلِّ شيءٍ سوى ما حدث بيننا.

يومها أعطيتها السيناريو لتقرأه على متن الطائرة وهي عائدة إلى لندن، وبعد فترة كتبت لي رسالة تقول إنها أحبت القصة حقًّا، وإن الأحداث فاجأتها ومسَّتها لأنها ارتبطت بشخصية توم بشدة.

نعم، الحقيقة أن چيني الحقيقيَّة لم تُدرك أنها وسمر شخصيَّة

واحدة على الإطلاق!

الحُب الحقيقي

ألكس شڤارتسمان

قالت هيلين الطروادية:

- «لم يكن هذا كما توقَّعت على الإطلاق.»

هزَّ الرجل الجالس وراء المكتب رأسه وقد رسم على وجهه تعبيراً من التعاطُف العملي.

- «لم تكن هناك قصة حب ملحميَّة أو غرام أسطوري.»

كانت هيلين تتكلَّم، لكنها لم تكن هيلين، بل مولي. هي مولي، لكن كان من الصعب عليها أن تكف عن اعتبار نفسها هيلين بعد قضاء ما شعرت كأنه أعوام طوال في رأس المرأة الأخرى، هيلين الحقيقيَّة.

- «كل شيءٍ كان متَّسخًا متهدِّمًا، وليست لديهم سِباكة حتى. وپاريس هذا شعر بالملل من المعركة كلها بعد بضعة أسابيع، وقضيتُ أنا دهرًا حبيسة في غرفةٍ ضئيلة أكاد أُجَن من الملل.»

- «لم يكن پاريس واقعًا في الحب إذن؟»

كان الرجل الجالس وراء المكتب يرتدي اليونيفورم ذا اللونين الأبيض والأرجواني المميِّز لشركة (رحلات عبر الزمن، المحدودة)، وقالت البطاقة المثبَّتة على صدره إن اسمه تراڤيس.

قالت مولي:

- «لم يكن واقعًا في حب هيلين على الأقل، وأعتقد بشدَّة أنه كان مهتمًّا أكثر بإينياس.»

علَّق تراڤيس:

- «هذا مؤسف. لكن نادرًا ما يتفق التاريخ الحقيقي مع ما سجَّله من سبقونا وتناقلوه عبر العصور، والأحداث تصبح أكثر أناقةً وتهذيبًا كلما حُكيت مرَّة بعد مرَّة.»

- «لن أستسلم لمجرَّد أن هناك من بالغ في وصف پاريس. ثمَّة حكايات أخرى عن الحب الحقيقي عبر التاريخ، الحب الخالص الذي لا ترى مثيلاً له في أيامنا هذه، وأنا مصمِّمة على أن أختبره بنفسي.»

***

عادت مولي في الأسبوع التالي بذات الإصرار، وجاء تراڤيس، الذي لمحها وهي تدخل المكتب، ليُلقي التحية ويُدرج طلبها، ثم

ساعدها على الاسترخاء في المقعد الوثير. لكن، قبل أن تنتهي المدَّة التي طلبتها، فصلت مولي الكابلات الزمانية عن رأسها ونهضت وقد تصدَّر العبوس ملامحها.

سألها تراڤيس:

- «لا حب حقيقيًا هذه المرة أيضًا؟»

أجابت مرتجفة:

- «ولا حتى من بعيد. قيصر كان عجوزًا شرهًا منغمسًا في الشهوات، وكليوپاترا لم تعتبر زواجهما إلا مجرَّد مصلحة سياسيَّة. أما مارك أنتوني فكان أسوأ. كلما لم يمضِ أي شيء طبقًا لهواه كان يُفرغ غضبه فيَّ... أقصد فيها.»

قال تراڤيس بنبرة تعاطف حقيقي:

- «هذا شنيع. وهل استخدمت ثعبانًا سامًّا في النهاية فعلاً؟»

- «لا أدري. لقد فصلت الاتصال قبل أن...»

ثم بدا أنها شردت قليلاً قبل أن تستعيد تركيزها وتواصل:

- «أتدري الجزء الأسوأ على الإطلاق؟ كان أنتوني يضربها وهي مستسلمة له تمامًا، ولم يكن هناك شيء يمكنني فعله مهما حاولت.»

تنهَّد تراڤيس قائلاً:

- «إنها فيزياء الزمن. لا يمكننا أن نكون سوى متفرِّجين على الماضي، مسافرين عابرين ليس باستطاعتهم التأثير في الأحداث بأيِّ شكل.»

قالت عاقدةً ذراعيها على صدرها:

- «أتساءل كيف سيكون رد فعل كليوپاترا وغيرها إذا عرفوا أن هناك عشرات الآلاف من السائحين يجوبون في عقولهم مطَّلعين على أكثر لحظاتهم خصوصيَّة وحميميَّة.»

قال تراڤيس:

- «لعله من الأفضل أنهم لم يعرفوا أبدًا. ومن يدري؟ قد يكون هناك عملاء مستقبليون لشركتنا في عقولنا في هذه اللحظة بالذات.»

نُشرت في مجلة *Daily Science Fiction* في يونيو 2013

قِطَط صغيرة

ريتشارد ماثيسون

سرَت المياه الباردة في مجرى النهر مُحدثةً فقاقيع صغيرة حول الصخور البُنيَّة الملساء، وعاكسةً اللون الأخضر الداكن الكئيب لأشجار الصفصاف التي اصطفَّت على الضفة، بينما جلست مارني الصغيرة على العشب تقذف الحجارة في المياه العميقة، وتشاهد التموُّجات الناتجة تنتشر وتتسع إلى أن تنتهي عند الضفَّتين الموحلتين. كانت تُفكِّر في القطط الصغيرة؛ تلك التي وُلدت هذا العام وليس قطط العام الماضي، التي وضعتها قطتها پينكي ثم اختفت بعد ثلاثة أيام وقال أبواها إنها ذهبت إلى الجنة.

يومها قال أبوها:

- «لقد أخذها الله إلى السماء لتعيش معه هناك.»

لم تشك مارني في كلام أبيها، فهو رجل متديِّن رغم كلِّ شيء، يُلقي العظة في مدرسة الأحد كل أسبوع، بالإضافة إلى عمله في الكنيسة موظفًا مسؤولًا عن عد أموال التبرُّعات وتدوينها في دفترٍ

أحمرٍ صغير، وفي كلِّ ليلةٍ كان يقرأ عليهم آياتٍ من الكتاب المقدَّس. كانت قد تأخَّرت على القراءة في الليلة السابقة، فعوقبت بالصَّفع على مؤخرتها. كانت أبوها يُردِّد أن «العصا لمن عصى» طوال الوقت، وهي لم تكن تشك في كلامه لأنه خير من يعرف كلَّ شيءٍ عن الله والقطط الصغيرة.

لكنها لا تزال تتساءل: لِمَ، وهناك مئات الآلاف من القطط الصغيرة في العالم، يختار الله أن يأخذ الأربع التي كانت لديها بالذات؟ هل الله أناني؟

كانت هذه هي المرَّة الأولى التي تُفكِّر فيها في تلك القطط الصغيرة منذ فترةٍ طويلة، فقد حدثت أشياء كثيرة جعلتها تنسى طوال العام المنصرم، كدخولها المدرسة للمرَّة الأولى وضجة الاستعداد لليوم الأول وشراء الكتب والأقلام والكراسات. كما أن الأسابيع الأولى في المدرسة كانت مثيرة بحق، إذ تعرَّفت فيها على الأبجدية والأرقام. وعندما بدأت تصاب بالملل من المدرسة حلَّ الكريسماس بالثلج والهدايا والأنوار الحمراء والصفراء والزرقاء والخضراء، ورأت بابا نويل سائراً يترنَّح عند ناصية الشارع، وذهبت إلى الكنيسة المضاءة بالشموع ليلة عيد الميلاد (ليلتها

أرادت دخول الحمَّام، لكن أباها رفض أن تتحرَّك حتى انتهاء القدَّاس). وعندما بدأت الأشياء تصبح مملَّة مرة أخرى في مارس كانت أمها قد أنجبت توأمًا. شعرت مارني بالدهشة من حجمهما الصغير للغاية، ثم كيف بدآ يكبران في الأسابيع التالية.

وها هو يونيو من جديد. التوأمان كان عمرهما ثلاثة أشهر الآن وقد بدأ وزنهما يزداد ثقلاً أخيرًا، ولا توجد دراسة، والكريسماس الجديد لا يزال بعيدًا. كل شيء كان يثير الملل، لذا عندما سمعت أباها يقول لأمها إن پينكي ستضع مرَّة أخرى، حاولت أن تستنزف كلَّ قطرةٍ من الإثارة من الخبر. هكذا شغلت نفسها في المطبخ في تجهيز بعض الخِرق والقطن، بالإضافة إلى صندوقٍ مناسب تعيش فيه القطط الوليدة عندما تأتي.

مضى كلُّ شيءٍ في مساره الطبيعي، وانسلَّت پينكي ذات ليلةٍ إلى ركن مظلم من الحظيرة لتضع المواليد. لم تكن هناك حاجة إلى الخِرق والقطن المعقَّم، لكن الصندوق كان مفيدًا واحتوى القطط الست، التي كانت كلها رماديَّة اللون، ذات نقاطٍ سوداء بدت كأنها بُقع من الحبر وضعها أحدهم على عجلة.

أحبت مارني القطط الصغيرة وشعرت بالقلق عليها. ماذا لو

أخذها الله كما فعل العام الماضي؟

- «ماذا تفعلين؟»

لم يكن من الضروري أن تنظر، فقد كانت تعرف من الواقف خلفها، لكنها التفتت على كلِّ حال -من باب الاحترام- لترى أباها يرمقها وقد تلوَّث إبطا قميصه الأزرق بالعرق وتلطَّخت ذقنه ووجنته اليُسرى بالغبار.

أجابت في هدوء:

- «أقذف الحجارة.»

- «على الأسماك؟»

- «لا يا سيدي. أقذف الحجارة فقط.»

قال بابتسامةٍ سمجة:

- «هل تذكرين من سقط ضحية قذف الحجارة؟»

أجابت:

- «القديس ستيڤن.»

- «أحسنت.»

ثم خبت ابتسامته وقال:

- «العشاء جاهز.»

***

جلست مارني متخشِّبة على الكرسي القديم ذي اللون الأحمر الداكن، تنظر في انتباه إلى أبيها وهو يقرأ عليهم من الإنجيل الذي توارثته العائلة لأجيال بغلافه الجلدي الأسود وصفحاته البالية. جلست أمها بجوار أبيها على الأريكة الزرقاء، وقد طوت يديها في حجرها وحمل وجهها التقليدي -وإن كان لم يخل من الحُسن- ابتسامة من نوع «أليس-ما-منَّ-الله-علينا-به-جميلاً» أو شيء من هذا القبيل.

«دَعُوا الأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.»

أغلق أبوها الكتاب بضربةٍ خفيفة بدا كأن صداها قد علِق بالهواء بعدها رافعًا ستارًا من الصمت الثقيل. لم يتكلَّم أحدهم لدقائق كثيرة، ثم:

- «أي آية كنا نقرأ الآن يا مارني؟»

ألقت الإجابة في طاعة، فغمغم أن أحسنت، ثم التفت إلى زوجته، التي تحوَّلت ابتسامتها إلى تعبير «لقد-فعلنا-ما-يجب-أن-

تفعله-كل-عائلة-متدينة»، وقال:

- «ماري، القهوة لنا والحليب لمارني.»

قالت أمها «حاضر»، وأسرعت إلى المطبخ.

جلس أبوها في مكانه يفحص أغلفة الكتاب المقدَّس الداخليَّة ويُمرِّر أصابعه على شقوق الورق المصفر وشبح البقعة التي علقت إلى الأبد بصفحة العنوان، نتيجةً للنبيذ الذي سكبه أحدهم دون قصد منذ مليون عامٍ تقريبًا.

قالت في تردُّد:

- «أبي.»

رفع رأسه إليها دون أن يبتسم أو يقطِّب.

- «ماذا عن القطط؟»

- «ماذا عنها؟»

- «هل سيأخذها الله مرَّة أخرى؟»

تبخَّر نصف الابتسامة الذي كان قد بدأ يزحف إلى وجهه في هواء الغرفة، وأجاب في اقتضاب:

- «ربما.»

قالت بصوتٍ شبه باكٍ:

- «لا يمكنه أن يفعل هذا.»

- «هل تقولين ما يمكن أن يفعله أو لا يفعله الله؟»

- «لا يا سيدي.»

- «الله يمكنه أن يفعل أي شيء.»

انكمشت في الكرسي أكثر وقالت:

- «نعم يا سيدي. لكن لِمَ قد يريد أخذ قططي الصغيرة مرة أخرى؟ ولِمَ قططي أنا دائمًا؟»

- «لن نتكلَّم في هذا مرة أخرى.»

قالت في إصرار:

- «لكن لِمَ قططي أنا؟»

انتفض واقفًا فجأةً وهوى على وجهها الرقيق بصفعةٍ جعلت قطرة رفيعة من الدم تسيل من ركن شفتها، فمسحتها بكف يدها، وقال هو في غضب:

- «لا يجب أن تُشكِّكي في حكمة الله أبدًا. إنك صغيرة للغاية على هذا!»

كان اللعاب يُغرق شفتيه عندما جذبها من ذراعها لتنهض

قسراً، وقال:

- «والآن إلى غرفتك. موعد النوم.»

لم تجادل، وعلى السلالم التي تقود إلى غرفتها في الطابق العلوي مسحت الدم الذي عاد يتجدَّد على ركن شفتها. صعدت السلالم في بطء تاركةً يدها تتحسَّس الدرابزين الخشبي اللامع.

وسمعت أمها تقول بالأسفل:

- «ها هو الحليب.»

وسمعت أباها يقول في خشونة:

- «لن تحتاجه الليلة.»

استلقت في غرفتها التي لم تكن مظلمة تمامًا في تلك الليلة مع ضوء القمر الكامل، الذي جاء عبر النافذة لينير عدداً من اللوحات والأيقونات الدينية التي ارتصَّت على أحد الجدران. وفي غرفة أبويها كانت أمها تهدهد التوأمين -الملاكين الصغيرين كما تُسميهما- وأبوها يدغدغهما.

لم يأت أبوها أو أمها ليتمنيا لها ليلة سعيدة، فقد كانت تتلقَّى العقاب.

***

كانت مارني جالسة في الحظيرة تلاعب واحدة من القطط الرماديَّة الصغيرة، مؤجِّلةً مشواراً أرسلتها إليه أمها قبل عشر دقائق. كانت رائحة التبن الذهبي الجاف الغنية تُفعم الجو، وفي الطرف الأقصى كانت البقرتان تتبادلان الخوار، وقد بدأتا تتماثلان للشفاء بعد أن جرحت الأسلاك الشائكة أقدامهما. كانت القطط الصغيرة تموء وتداعب الهواء تحت ذقن الفتاة.

ثم سمعت صوت أبيها الهادر من مكانٍ ما في منتصف الطريق بين البيت والحظيرة يسأل عنها، وكانت على وشك الاستجابة عندما سمعت أمها تقول:

- «أرسلتها لتُحضر وصفة من هيلين. ستعود بعد عشرين دقيقة.»

قال الأب:

- «هذا وقت كافٍ إذن.»

سمعت صوت حذائه الثقيل يضرب الأرض مقتربًا في خطواتٍ عسكريَّة ثابتة، وكانت تعرف أن شيئًا ما على غير ما يرام، شيئًا ليس من المفترَض أن تراه. وضعت القطة في الصندوق وزحفت وراء كومة من القش لترى.

دخل أبوها الحظيرة وملأ دلواً بالماء ووضعه أمام صندوق القطط. همَّت القطة الأم پينكي وقوَّست ظهرها، فرفعها الرجل وألقى بها في برميل فارغ وأغلقه، لتأتي صرخاتها الغاضبة من الداخل صاخبة تليق بغابات إفريقيا وليس مزرعة أمريكية. كادت مارني تضحك، لكنها تذكَّرت أن أباها هنا، فكتمت ضحكتها.

عاد الرجل إلى صندوق القطط مرة أخرى، وفي حذرٍ رفع واحدة من الصغار من مؤخِّرة عنقها وربَّت عليها مرتين... ثم دفن رأسها في دلو الماء!

الضربات العنيفة التي جاءت من داخل الدلو... وقطرات الماء التي تناثرت هنا وهناك... وسحنة الأب التي انقلبت وهو يدفع الجسم كله تحت الماء... ولم يمض وقت طويل قبل أن تهمد حركة القطة تمامًا.

وجدت مارني أصابع يدها مغروسة في الأرضية الخرسانية إلى درجةٍ آلمتها.

لماذاااااااا؟! لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

رفع أبوها الجسد الرخو من الدلو، ورأت الصغيرة شيئًا وردي اللون دامياً يسيل من فم القطة الميتة، لم تعرف إن كان لسانها أم أن

المسكينة قد قاءت أمعاءها في الماء، في محاولةٍ يائسةٍ أخيرة للهرب من ميتة الاختناق الشنيعة.

بعد قليل كانت القطط الصغيرة الست ميتة، وبعد قليل أُلقيت ست جثث في كيس من الخيش. أخرج الرجل القطة الأم من البرميل، وتبعته هذه مرتجفة وهي تموء في ضعف، وتهس في وجهه عندما يلتفت إليها.

تجمَّدت مارني في مكانها لوقتٍ طويل لا تُفكِّر في شيءٍ سوى حُكم الإعدام الذي شهدته محاولةً أن تفهم. هل أرسل الله أباها؟ وهل هو من قال له أن يقتل القطط ويأخذها منها؟ إذا كان هذا ما حدث، فإنها لا تعرف كيف يمكنها أن تقف أمام المذبح ذي اللونين الأبيض والذهبي لتتلقى العشاء الربَّاني مرَّة أخرى.

نهضت مارني وعادت إلى المنزل والدم يقطر من أناملها؛ الدم والأسمنت.

سألتها أمها عندما دخلت وصفقت باب المطبخ:

- «هل أحضرت الوصفة؟»

قالت كاذبة في براعةٍ إلى درجةٍ أدهشتها:

- «لم تجدها، لكنها سترسلها غدًا.»

ثم قالت فجأة:

- «هل أخذ الله قططي الصغيرة؟»

ردَّت أمها في ارتباك:

- «نعم.»

صرخت وهي تهرع إلى حجرتها:

- «سوف أسترد حقي منه! لا يمكنه أن يفعل هذا! لا يمكنه أن يفعل هذا!»

نظرت لها أمها ولم تحاول أن تمنعها، أما هي فقد صعدت السلالم في بطء تاركةً يدها تتحسَّس الدرابزين الخشبي اللامع.

***

عاد أبوها بعد الظهر من عمله في الحقل ليسمع صوت أشياء تتحطَّم بصوتٍ عالٍ. هُرع الرجل إلى الداخل ليجد زوجته ساقطةً عند السلالم. كانت المائدة الجديدة مقلوبة والتماثيل والأيقونات محطَّمة.

جثا إلى جوارها قائلاً في لهفة:

- «ماري، هل أنت بخير؟ هل جُرحتِ؟»

رفعت إليه عينين غطَّتهما غشاوة كثيفة، ثم قالت في رعب:

- «الملاكان الصغيران... ربَّاه! الصغيران! الماء في حوض الاستحمام! الملاكان الصغيران!»

القرد يُفكِّر، القرد يفعل

(سيرة ذاتيَّة)

تشاك پالانيك

كنت في حفل توقيع في مكتبة هذا الصيف، عندما انتحى بي شابٌ جانبًا وقال إنه أحب كيف أنني كتبت في (نادي القتال) عن السُّقاة الذين يتلاعبون بالطعام في المطاعم، ثم طلب مني أن أوقِّع الكتاب، وأضاف أنه يعمل في فندق من ذوي النجوم الخمس، حيث يتلاعب السُّقاة هناك بطعام المشاهير طوال الوقت.

- «مارجريت ثاتشر أكلت حيواناتي المنويَّة...» قالها ورفع يده فاردًا أصابعه وهو يكمل في فخر: «... خمس مرَّاتٍ على الأقل!»

أثناء كتابتي (نادي القتال) كنت أعرف عامل عرض يقتطع اللقطات من أفلام البورنو ويلصقها بأفلامٍ أخرى، وعندما تكلَّمت عن نيتي الكتابة عن لصق هذه اللقطات بالأفلام العائلية، قال أحد أصدقائي ألا أكتب عن هذا، لأن الناس سيقرؤونه وهناك من سوف يُقلِّد المكتوب. فيما بعد، أثناء تصوير فيلم (نادي القتال)، قالت لي

بعض الأسماء الكبيرة في هوليوود إنني ضربت على الوتر بالضبط، لأنهم هم أنفسهم كانوا يفعلون أشياء شبيهة بهذا عندما كانوا عاملي عرضٍ مراهقين غاضبين. حكوا لي كذلك عن تبديل عبوات صبغة الشعر من علبةٍ لعلبةٍ في الصيدليات، أي وضع الأسود مكان الأشقر وما إلى ذلك، ثم العودة فيما بعد لمشاهدة الزبائن الغاضبين وهم يصرخون في وجه مدير المكان. كان هذا هو عقد الروايات المتجاوزة الذي بدأ بـ(أميريكان سايكو) واستمر مع (نادي القتال) وغيرها. إنها رواياتٍ عن شبابٍ غير أسوياء يشعرون بالملل وبإمكانهم فعل أيَّ شيءٍ كي يشعروا بأنهم أحياء؛ وأنا يمكنني أن أبيع كل ما يحكيه لي الناس.

في كلِّ جولةٍ للترويج للكتاب يحكون لي كيف، إذ جلسوا في صف مخرج الطوارئ على متن طائرة، أن الرحلة كلها كانت كفاحًا ضد الرغبة في عدم فتح ذلك الباب. الهواء ينفد فجأة من الطائرة، أقنعة الأوكسچين تسقط، الفوضى في كلِّ مكان وصرخات الاستغاثة، الهبوط الاضطراري... كان بإمكانهم رؤية كل هذا رئي العين، والباب يتوسَّل لهم أن يفتحوه.

يُعرِّف الفيلسوف الدانمركي سورن كيركجارد الخوف بأنه

«معرفة ما يجب أن تفعله لتُثبت أنك حر، حتى إذا كان فيه دمارك»، ويضرب مثلاً بحياة آدم وحواء السعيدة القانعة في الجنة، إلى أن يُريهما الله شجرة المعرفة ويأمرهما بألا يأكلا منها. الآن لم يعد آدم حرًّا، وهناك قاعدة واحدة يمكنه أن يخرقها -بل لا بد أن يخرقها- كي يُثبت أنه حر، حتى لو قاده هذا إلى الهلاك. يقول كيركجارد إن اللحظة التي نُمنع فيها من فعل شيءٍ ما، هي اللحظة التي يتقرَّر فيها أننا سنفعله لا محالة.

القرد يُفكِّر، القرد يفعل...

طبقًا لكلام كيركجارد، فإن الشخص الذي يسمح للقانون بالتحكُّم في حياته، الذي يقول إن الممكن غير ممكن فقط لأنه غير قانوني، هو شخص يحيا حياةً زائفة.

في پورتلاند، أوريجون -حيث أعيش- ثمَّة من يحشو كرات التنس بمئاتٍ من رؤوس أعواد الثقاب ويسدُّها تمامًا، ثم يترك الكرات في الشارع ليجدها من يجدها، لتنفجر مع أي ركلة أو رمية. حتى الآن فقد رجل ساقه وكلب رأسه نتيجةً لهذا.

الآن يستخدم رسامو الجرافيتي طلاءً من النوع الذي يأكل في الزجاج، للرسم على واجهات المحال ونوافذ السيارات، وفي إحدى

المدارس الثانويَّة يأخذ أحد الطلبة فضلاته ويمسحها على جدران حمَّام الرجال. لا أحد في المدرسة يعرف من هو، لكنهم لا يتكلَّمون عنه علنًا كي لا يجد من يُقلِّده.

كما يقول كيركجارد، ففي كلِّ مرَّة نرى شيئًا ما ممكنًا فإننا نجعله يحدث، نجعله محتَّم الحدوث. إلى أن كتب ستيفن كينج عن قتل المضطَّهدين في المدارس الثانوية لزملائهم الذين يضطهدونهم، لم يكن إطلاق النار في المدارس معروفًا، لكن هل جعلت روايات مثل (كاري) و(الغضب) شيئًا كهذا محتمًا؟

ملايين منا دفعوا من جيوبهم لمشاهدة مبنى الإمباير ستيت وهو يُدمَّر في فيلم (يوم الاستقلال)، والآن تستعين وزارة الدفاع بأكبر العقول المبدعة في هوليوود لتصوُّر كل السيناريوهات الممكنة للهجمات الإرهابيَّة، ومنهم ديفيد فينشر، الذي جعل مبنى سينشري سيتي يتداعى في نهاية (نادي القتال). نريد أن نكون على علمٍ بكل طريقةٍ ممكنة للهجوم علينا كي نكون متأهِّبين.

بسبب تد كازينسكي، لم يعد يمكنك إرسال طرد إلا من مكتب البريد مباشرةً، وبسبب من يُلقون كرات البولنج على الطُّرق السريعة، أصبحت الطُّرق السريعة محاطة بالأسوار.

كل هذه ردود أفعال، كأننا نستطيع حماية أنفسنا من كلِّ شيء.

في هذا الصيف قال الرجل الذي قتل أبي إنه يُرحِّب بعقوبة الإعدام، لكنه وأصدقاءه صنَّعوا عددًا كبيرًا من قنابل الجمرة الخبيثة ودفنوها حول سپوكان، واشنطن، فإذا أعدموه سيأتي يوم يضرب فيه أحدهم واحدةً من القنابل المدفونة ويموت عشرات الآلاف.

القادم هو مليون سبب جديد كي لا نعيش حياتنا. يمكنك أن تُنكر إمكانية نجاحك وتُلقي باللوم على أحدٍ آخر، ويمكنك أن تقاتل ضد كلِّ شيء... ضد مارجريت ثاتشر، أصحاب العقارات، الرغبة الملحَّة في فتح باب الطائرة في الجو... كلِّ شيء تتظاهر بأنه يُقيِّدك.

يمكنك أن تحيا حياة كيركجارد الزائفة، أو يمكنك أن تفعل ما أسماه كيركجارد وثبه الإيمان، وتكف عن العيش كردِّ فعل وتبدأ العيش فاعلاً ما تقول إنه واجب. القادم هو مليون سبب جديد كي تعيش.

ما سينتهي قريبًا هو الرواية المتجاوزة، بما أن لدينا الآن من نكرهه أكثر من بعضنا البعض.

***

نادلٌ آخر قدَّم لي وجبة مجانية أخرى لأنني ذلك الرجل الذي كتب الكتاب إياه، كتاب (نادي القتال)، ولأن هناك مشهدًا في الكتاب يُقدِّم فيه نادل مُخلص -وأحد أعضاء نادي القتال- طعامًا مجانيًّا للراوي، بينما في الفيلم الآن يتلقَّى إدوارد نورتون وهيلينا بونهام كارتر الطعام المجاني.

ثم يتصل بي محرِّر بمجلة -محرِّر آخر بمجلةٍ أخرى- غاضبًا، يرغي ويزبد لأنه يريد أن يُرسل أحد الكُتَّاب لديه إلى نادي القتال السري في منطقته، ويقول لي عبر الهاتف من نيويورك:

- «لا تقلق، يمكنك أن تخبرني بمكانه، ولن نفضح الأمر!»

أقول له إنه لا يوجد مكان كهذا؛ ليست هناك سلسلة سريَّة من نوادي القتال، يُوسع الرجال بعضهم البعض فيها ضربًا ويَشْكون حياتهم الفارغة ووظائفهم عديمة الجدوى وآباءهم الغائبين. نوادي القتال خياليَّة، لا أحد يمكنه الذهاب إليها لأنها ببساطة وليدة مُخيِّلتي.

يقول المحرِّر:

- «ليكن. إذا كنت لا تثق بنا فاذهب إلى الجحيم.»

تصلني كومة أخرى من الخطابات عن طريق الناشر من شباب يقولون إنهم ذهبوا لنوادي القتال في نيويورك ولندن وسپوكان، ويحكون لي عن آبائهم. في بريد اليوم تصلني ساعات يد ودبابيس زينة وأكواب قهوة. إنها جوائز من مسابقات اليانصيب التي يُصر أبي على إشراكي فيها وإخوتي كل شتاء.

ثمَّة أجزاء حقيقية في (نادي القتال)، فهي في الحقيقة مقتطفات من حياة أصدقائي أكثر منها رواية، وأنا -مثل چاك- أعاني من الأرق وأظل دون نومٍ لعدة أسابيع، وأعرف سُقاة غاضبين يعبثون بالطعام في المطاعم ويحلقون رؤوسهم، وصديقتي أليس تصنع الصابون، وصديقي مايك يقتطع لقطاتٍ من أفلام الپورنو ويلصقها بالأفلام العائلية. كل رجل أعرفه يشعر أن أباه خذله، وحتى أبي يشعر أن أباه خذله.

الآن، أكثر فأكثر، ما كان خيالًا صغيراً أصبح حقيقة...

في الليلة التي سبقت إرسالي مخطوطة الرواية إلى أحد وكلاء النشر عام 1995، عندما لم تكن سوى بضع مئة ورقة، قالت لي صديقة مازحة إنها تريد أن تقابل براد پيت، وقلت أنا مازحًا إنني أرغب في ترك عملي على الشاحنات طوال اليوم. الآن صارت

تلك الصفحات فيلمًا يلعب بطولته براد بيت وهيلينا بونهام كارتر ويُخرجه ديڤيد فينشر، والآن أصبحت بلا عمل.

في الصيف الماضي سمحت لي شركة الإنتاج بأن يأتي معي بعض الأصدقاء لحضور التصوير، وفي كلِّ صباحٍ في المقهى نفسه في سانتا مونيكا، كنا نتناول الإفطار الذي يُحضره لنا الساقي نفسه صاحب سيماء نجوم السينما والشعر الكثيف. كان اسمه تشارلي، وفي صباح اليوم الأخير لنا هناك خرج تشارلي من المطبخ بشعرٍ محلوق، ليتضح أنه لعب دورًا في الفيلم. أصدقائي الذين كانوا سُقاة أناركيين ذوي شعور محلوقة يتناولون الآن الإفطار من يد ساقٍ حقيقي وممثل يلعب دور ساقٍ أناركي ذي شعرٍ محلوق.

إنه نفس الشعور عندما تجلس بين مرآتين عند الحلاق وترى انعكاسًا لانعكاس انعكاس انعكاسك، وهكذا بلا نهاية.

والآن يرفض السُّقاة أخذ نقود مني، والمحرِّرون يصبُّون عليَّ اللعنات، والشباب ينتحون بي جانبًا في المكتبات متوسِّلين أن أخبرهم بمكان نادي القتال في هذه المنطقة أو تلك، وتسألني امرأة في هدوء وجديَّة:

- «هل هناك نوادٍ كهذه للنساء؟»

صديق ألماني اسمه كارستون تعلَّم الإنجليزية من الكليشيهات القديمة، وبالنسبة إليه كل حفلة هي (مهرجان كله غناء ورقص).

الآن تخرج كلماتي من بين شفتي براد پيت على ارتفاع 40 قدمًا أمام الملايين، ومطبخ صديقي چيف الشبيه بمقلب القمامة أعيد بناؤه في أحد ستوديوهات هوليوود، والليلة التي هرعت فيها لأنقذ صديقي كيڤين من جرعة زائدة من الزاناكس تحوَّلت إلى براد منقذًا هيلينا.

بالنظر إلى الوراء الآن، فإن كلَّ شيءٍ يبدو أكثر مدعاة للضحك وأجمل وأفضل. يمكنك أن تضحك على أيِّ شيءٍ وأنت على مسافةٍ كافيةٍ منه.

لم تعد القصة قصتي، بل قصة ديڤيد فينشر. شقَّة إدوارد نورتون في الفيلم هي محاكاة لشقَّة من ماضي ديڤيد، أما إدوارد نفسه فكتب كلامه في الفيلم وأعاد كتابته بنفسه، وبراد كسر أسنانه وحلق شعره. رئيسي يحسب القصة عن معاناته في إرضاء رئيسه كثير المطالب، وأبي يحسب أن القصة عن أبيه الغائب - جدي- الذي أطلق النار على جدتي ثم على نفسه.

كان أبي في الرابعة من عمره عام 1943، عندما اختبأ تحت الفراش وأبوه وأمه يتشاجران، بينما فرَّ إخوته وأخواته الاثنى عشر إلى الغابة المجاورة. ثم سقطت أمه صريعةً وأخذ أبوه يجوب أنحاء البيت ينادي عليه وهو لا يزال يحمل البندقية. ما زال أبي يذكر حذاء أبيه الثقيل وهو يضرب الأرض ماراً بالفراش، وماسورة البندقية تحتك بالأرض، ثم يذكر الكميات التي صبَّها من نشارة الخشب على الجثتين ليحميهما من الذباب.

الكتاب، والفيلم الآن، نتاج لكل هؤلاء الناس، ومع كل إضافة إليها أصبحت قصة (نادي القتال) أقوى وأصفى، وليست سجلاً لحياةٍ واحدة، بل لجيلٍ بأكمله، بل للبشر كلهم.

الكتاب نتاج لنورا إفرون وتوم چونز ومارك ريتشارد وچوان ديديون وآيمي همپل وبريت إيليس ودينيس چونسون، لأن هؤلاء هُم الناس الذين قرأتهم.

***

والآن انتقل معظم أصدقائي القدامى للمعيشة في أماكنٍ أخرى، أو اختفوا أو تزوَّجوا أو ماتوا أو تخرَّجوا أو عادوا للدراسة أو يُربون أبناءهم.

في هذا الصيف قتل أحدهم أبي في جبال أيداهو وأحرق جثته حتى لم يتبقَّ منها سوى بعض العظام، وتقول الشرطة إنهم لم يستدلوا على أيٍّ مشتبهٍ بهم. كان أبي في التاسعة والخمسين. جاءني الخبر صبيحة يوم جمعة عن طريق وكيل الدعاية، الذي تلقَّى اتصالاً من مكتب مأمور مقاطعة لاتاه، الذي وجدني من خلال ناشري عن طريق الإنترنت. اتصل بي وكيل الدعاية المسكين قائلاً:

- «قد تكون هذه دعابة سمجة، لكن ثمَّة محقِّق في موسكو، أيداهو يريدك أن تتصل به.»

الآن أجلس إلى مائدةٍ مليئة بأطباق الطعام. قد تحسب أن طعم الأرز والسمك المجانيين سيكون رائعًا، لكن هذه ليست الحقيقة دائمًا.

وما زلت أجول ليلاً...

كل ما تبقى هو كتاب، والآن فيلم... فيلم طريف مثير في الحقيقة، فيلم جامح مليء بالأفكار المخيفة الخطرة هو بالنسبة للآخرين رحلة مسلية، أما بالنسبة لي وأصدقائي فدفتر قصاصات حافل بالذكريات الحميمة، مفكِّرة، دليل رائع مُطمئِن على أننا بكل غضبنا وإحباطاتنا ومعاناتنا وحسرتنا قد ارتبطنا ببعضنا

البعض، والآن بالعالم.

كل ما تبقى هو دليل على أننا نستطيع خلق الواقع.

كانت فريدا -المرأة التي حلقت شعر براد- قد وعدتني بأن تُرسل لي الشعر لأستخدمه في بطاقات الكريسماس، لكنها نسيت، فاستخدمت شَعرًا من كلب أحد الأصدقاء. ثم تتصل بي امرأة أخرى -صديقة لأبي- تقول في حماس إنها واثقة أن أتباع معتقد سيادة البيض هُم من قتلوا أبي، وتزمع أن تعمل متخفية في عالمهم، وتريد مني أن أساعدها في فضحهم. هكذا تستمر مغامراتي. سأذهب للتجوال أو أفعل ما طلبته مني الشُّرطة وأبتلع حبة من مضاد الاكتئاب وأنتظر اتصالهم. أو... لا أدري.

كان أبي مدمنًا لليانصيب، ولا تزال الجوائز الصغيرة تأتيني كل أسبوعٍ مع البريد: ساعات يد، أكواب قهوة، مناشف، تقاويم؛ لكن الجوائز الكبرى حقًّا كالسيارات والقوارب لا تأتي أبدًا. ثمَّة صديقة أخرى اسمها چينيفر رحل أبوها المريض بالسرطان قريبًا، ولا تزال تتلقَّى نفس الجوائز من المسابقات التي كان أشركها فيها قبل شهور، وكلما تصل جائزة جديدة ينكسر قلبها أكثر. جوائز مواساة هي.

قبل بضع ليالٍ من موت أبي، قضينا ثلاث ساعاتٍ على الهاتف نتكلَّم عن بيت شجرة كان قد بناه لأخي ولي، وتكلَّمنا عن الدجاج الذي أقوم بتربيته وكيف أبني له عشَّة، وما إن كان الصندوق الذي تبيض فيه كل دجاجة يحتاج إلى أرضية من الشبك، لكنه قال إن الدجاج لا يقضي حاجته في الصندوق الذي يبيض فيه. تكلَّمنا عن الطقس وكيف يصبح باردًا ليلاً، وقال شيئًا عن إناث الديوك الرومي التي خرجت أفراخها من البيض في الغابة التي يعيش فيها، وكيف يبسط كل ديك ذَكَر جناحيه كل ليلةٍ مع حلول الغسق ليضم الأفراخ الصغيرة، لأنها أكبر حجمًا من أن تستطيع الإناث حمايتها أو تُدفِّئها.

قلت له إن لا حيوان ذَكَرًا يمكنه أن يكون بهذا الحنان.

والآن مات أبي وخرجت أفراخ دجاجي من البيض.

والآن يبدو أن كلينا كان مخطئًا.

من كتاب ***Stranger Than Fiction***

مقدِّمة في الشِّعر

بيلي كولنز

أسألهم أن يأخذوا قصيدةً
ويرفعونها في النورِ، كشريحةٍ ملوَّنة
أو يضغطوا آذانهم على خلية النحلِ بداخلها
أقول: ألقوا فأرًا داخل القصيدة
وراقبوه وهو يتحسَّس طريق الخروج
أو ادخلوا غرفة القصيدة
وتلمَّسوا الجدران بحثًا عن مفتاحِ الضوء
أريدهم أن يتزلَّجوا على سطحِ القصيدة
ملوِّحين لاسم المؤلِّف المحفور على الشاطئ
لكن كلَّ ما يريدون فعله
هو أن يُقيِّدوا القصيدة بحبلٍ إلى كرسي
ويُعذِّبونها ليستخرجوا منها اعترافًا
فيضربونها بالخرطوم

ليصلوا إلى معناها الحقيقي!

كونت دراكيولا

وودي آلن

في مكانٍ ما من ترانسلڤانيا، يرقد مصاص الدماء دراكيولا في تابوته منتظراً حلول الليل.

معروفٌ أن التعرُّض لأشعة الشمس يعني الهلاك المؤكَّد له، ولذا يحمي نفسه طوال النهار في ذلك الصندوق المبطَّن بالحرير، الذي يحمل اسم أسرته بحروفٍ من فضة. ثم تأتي لحظة الظلام، وبمعجزةٍ ما ينهض المسخ من مرقده الآمن ليتَّخذ صورة بشعة لوطواطٍ أو ذئب، ثم يجوب أرجاء الريف ليتغذَّى على دماء الضحايا. وأخيراً، قبل أن تعلن خيوط عدوه اللدود -الشمس- عن مجيء يومٍ جديد، يهرع عائداً إلى أمان تابوته وينام لتبدأ الدائرة من جديد.

الآن يبدأ دراكيولا في الحركة. تلك الرعشة في جفنيه هي استجابة لغريزة قديمة قِدم الدهر لا تفسير لها، تقول له إن الشمس تكاد تغرب وإن وقته يقترب. الليلة بالذات يشعر بجوعٍ شديد، والآن

وقد أفاق تمامًا وهو متمدِّد في عباءته السوداء المبطَّنة بالأحمر، منتظراً أن يشعر بمنتهى الدقة باللحظة التي يسود فيها الظلام تمامًا قبل أن يفتح عينيه وينهض، يقرِّر من ستكون ضحية الليلة.

يقول دراكيولا لنفسه إن الخبَّاز وزوجته هما الاختيار الأمثل، فكلاهما متعافٍ نضر ومتاح، والأهم أنهما لن يرتابا فيه. تثير فكرة الزوجين الغافلين اللذين نال ثقتهما بالكثير من الحرص شهوة الدم فيه، إلى درجة أنه يكاد لا يحتمل انتظار تلك الثواني الأخيرة قبل أن ينهض من التابوت ليتجه إلى ضحيتيه ويرتوي.

فجأةً يعرف أن الشمس قد غربت تمامًا، وكملاك آتٍ من الجحيم، ينهض بخفَّة ويتحوَّل في غمضة عين إلى خفاش يحلِّق بسرعةٍ نحو كوخ الخبَّاز وزوجته.

تقول زوجة الخبَّاز وهي تفتح الباب له:

- «كونت دراكيولا! يا لها من مفاجأة سارَّة!»

كان قد عاد إلى صورته البشريَّة قبل أن يطرق الباب راسمًا على وجهه ابتسامة تُخفي غرضه الفتَّاك.

يسأله الخبَّاز:

- «ما الذي جاء بك مبكراً هكذا؟»

فيجيب الكونت:

- «جئت حسب دعوتكما على العشاء. آمل أنني لم أخطئ اليوم. إنها الليلة، أليس كذلك؟»

- «نعم، الليلة، لكن الليل لن يحل قبل سبع ساعات.»

يقول دراكيولا ناظراً حوله في دهشة:

- «معذرة؟»

- «أم أنك جئت لتشاهد خسوف الشمس معنا؟»

- «خسوف الشمس؟»

- «أجل، اليوم هناك خسوف كامل.»

- «ماذا؟!»

- «خسوف كامل يسود فيه الظلام حتى دقائق قليلة بعد الظُّهر. انظر من النافذة.»

- «تبًّا! أنا في ورطة كبيرة.»

- «هه؟»

- «والآن بعد إذنكما...»

- «ماذا؟»

- «يجب أن أنصرف... رباه... آه...»

يتلمَّس دراكيولا مقبض الباب في هياج، بينما يقول الخباز:

- «تنصرف؟ لكنك جئت لتوك!»

- «صحيح... لكن يبدو أنني... أخطأت.»

- «كونت دراكيولا، إنك شاحب.»

- «هه؟ حقًّا؟ إنني بحاجة لبعض الهواء النقي... بعد إذنكما.»

- «تعال واجلس، لتتناول شرابًا.»

- «شرابًا؟ لا، يجب أن أرحل... إررر، إنك تدوس على عباءتي.»

- «بالطبع... اهدأ... ما رأيك في بعض النبيذ؟»

- «نبيذ؟ لا شكرًا، أقلعت عنه بسبب متاعب الكبد كما تعلم. يجب أن أنصرف حقًّا. تذكرت للتو أنني تركت الأنوار مضاءة في قلعتي وفاتورة الكهرباء ستأتي...»

يقول الخبَّاز وهو يضع ذراعه حول كتفي الكونت في حزم ودود:

- «أرجوك. لا داعي للتهذيب المبالغ فيه. وما المانع إذا جئت مبكراً؟»

- «أود حقًّا أن أبقى، لكن هناك اجتماعًا لكبار الكونتات الرومان في البلدة وأنا مسؤول عن جدول الأعمال.»

- «يا للعجلة! إنها لمعجزة ألا تصاب بأزمة قلبية.»

- «ها ها! صحيح... والآن...»

تتدخَّل الزوجة في الحوار قائلة:

- «سأعد الدجاج المحشو الليلة. أتمنى أن يروق لك.»

يقول الكونت مبتسمًا وهو يدفعها لتسقط في كومة من الغسيل:

- «رائع! رائع!»

ويستجيب المقبض له أخيرًا، قبل أن يدرك أنه خطا داخل خزانة ثياب، فيقول منهارًا:

- «أين الباب الأمامي بحق السماء!»

تقول زوجة الخباز ضاحكة:

- «ظريف الكونت دراكيولا هذا!»

يقول دراكيولا مجبرًا نفسه على الضحك:

- «كنت أعرف أن هذا سيروق لك. والآن ابتعدي عن طريقي.»

أخيرًا يفتح الباب الأمامي، لكن الأوان كان قد فات.

يقول الخبَّاز:

- «انظري، لا بد أن الخسوف انتهى. ها هي الشمس تعود من

جديد.»

يقول دراكيولا صافقًا الباب:

- «حسن، لقد قررت أن أبقى. أرجوك أن تنزلي الستائر بسرعة... أرجوك!»

يسأله الخبَّاز:

- «أي ستائر؟»

- «لا توجد لديكما ستائر، أليس كذلك؟ طبعًا. هل يوجد قبو ها هنا؟»

تقول الزوجة في أسى:

- «لا. دائمًا ألح على جارسلوف أن يبني واحدًا لكنه لا يصغي أبدًا. عجيب زوجي جارسلوف هذا.»

- «هذا مؤثِّر... أين الخزانة؟»

- «لقد قمت بهذه الحيلة بالفعل أيها الكونت وضحكنا عليها.»

- «ظريف للغاية الكونت دراكيولا هذا!»

يخطو الكونت داخل الخزانة ويقول قبل أن يصفق بابها:

- «اسمعا، سأبقى في الخزانة، ولا تطرقا الباب قبل السابعة والنصف.»

- «هي هيييي...إنه ظريف للغاية يا جارسلوف!»

- «كف عن السخف يا كونت، اخرج من الخزانة.»

من داخل الخزانة يأتي صوت دراكيولا مكتومًا:

- «لا أستطيع... أرجوك... ثق بي، إنني مرتاح هنا.»

- «كونت دراكيولا، كُف عن العبث. إننا نكاد نموت من الضحك هنا.»

- «أقول لك إنني أحب هذه الخزانة.»

- «نعم، لكن...»

- «أعرف أن هذا غريب، لكن هأنذا مستمتع بوقتي إلى أقصى حد. كنت أقول للسيدة هس منذ أيام إنه يمكنني الوقوف في خزانة جيدة لساعات. لطيفة السيدة هس تلك... بدينة لكن لطيفة... والآن اتركني كما أنا وعُد بعد الغروب... أوه رومانا لا دا دا دي دا دا دي رومانا!!!!»

في هذه اللحظة يصل العمدة وزوجته كاتيا في زيارةٍ سريعة لصديقيهما الطيبين الخبَّاز وزوجته.

- «مرحبًا جارسلوف، أتمنى أننا جئنا في وقت مناسب.»

- «بالطبع. كونت دراكيولا! لدينا ضيوف!»

يسأل العمدة مندهشًا:

- «الكونت هنا؟»

تجيب زوجة الخبَّاز:

- «نعم، ولن تخمن أين هو.»

- «من النادر رؤيته في هذا الوقت المبكر. الحقيقة أنني لا أذكر أني رأيته نهارًا قط.»

- «لكنه هنا. كونت دراكيولا! اخرج من الخزانة!»

تسأل كاتيا غير دارية إن كان يجب أن تضحك أم لا:

- «أين هو؟»

تقول زوجة الخبَّاز في صبر بدأ ينفد:

- «هلُم، اخرج من عندك!»

ويقول الخبَّاز معتذرًا:

- «إنه في الخزانة.»

ويدق على باب الخزانة محاولًا الحفاظ على روحه المرحة:

- «هلُم، هذا يكفي. العمدة هنا.»

يصيح العمدة:

- «هلُم يا دراكيولا، لنتناول شرابًا معًا.»

- «تفضلوا أنتم. لديَّ عمل ما أقوم به هنا.»

- «في الخزانة؟»

- «نعم. لا تجعلوني أفسد يومكم. يمكنني سماع ما تقولون وسأشترك في الحوار إذا وجدت ما أقول.»

يتبادل الجميع النظرات الحائرة ويهزون أكتافهم، ويُصب النبيذ ويشربونه جميعًا.

يقول العمدة راشفًا من كأسه:

- «خسوف غير معتاد اليوم.»

يوافقه الخبَّاز، ومن الخزانة يأتي صوت دراكيولا:

- «نعم، مذهل!»

- «ماذا؟»

- «لا شيء، لا عليك.»

وهكذا يمر الوقت إلى أن ينفد صبر العمدة تمامًا ويفتح باب الخزانة عنوة صائحًا:

- «هلُم يا دراكيولا. حسبتك رجلاً عاقلاً. كف عن هذا الجنون.»

ويتدفَّق ضوء الشمس إلى الخزانة ليصرخ مصاص الدماء،

وفي ثوانٍ يتحوَّل إلى هيكلٍ عظمي، سرعان ما تحول بدوره إلى حفنة من التراب أمام أعينهم.

فتنحني زوجة الخبَّاز على كومة التراب الأبيض على أرضية الخزانة وتتساءل:

- «لن نتناول عشاء الليلة إذن؟»

نُشرَت في *Getting Even* عام 1971

الهجين

فرانز كافكا

أملك حيوانًا غريبًا غير مألوف، هو نصف قِط ونصف حَمَل، ورثته عن أبي. لم يتخذ تكوينه هذا إلا عندما بدأت أعنى به، أما قبلها فكان حَمَلاً أكثر منه قطًّا بكثير، والآن صار الاثنين معًا بتساوٍ شبه كامل.

من القطط أخذ رأسه ومخالبه، ومن الحِمْلان حجمه وشكله، ومن الاثنين العينين البريَّتين اللامعتين والشعر الناعم، والحركة التي تجمع في آنٍ واحد بين التواثُب والانسلال. على عتبة النافذة يُكوِّر نفسه تحت أشعة الشمس ويبدأ في القرير، وفي الحديقة يهرول كالمجانين بحيث لا يمكنك الإمساك به إلا نادرًا. يهرب من القطط ويحاول مهاجمة الحملان، وفي الليالي المقمرة يُفضِّل التنزُّه على الإفريز. لا يموء ويشمئز من الفئران، وإلى جوار عشَّة الدجاجات يكمن متحفزًا لساعاتٍ، لكنه لم يقتل أيًّا منها حتى الآن.

أطعمه الحليب الذي يبدو أكثر طعام يناسبه، فيمتصَّه من بين

أسنانه الطويلة الشبيهة بالأنياب. بالطبع يُعد حيواني هذا مصدر تسلية كبيراً للأطفال، وهكذا تحدَّد صباح كل أحد للزيارة، حيث أجلس واضعًا إياه في حِجري بينما يلتف حولي أطفال الحي كلهم.

ثم يبدأ أغرب الأسئلة طرًّا؛ الأسئلة التي لا يستطيع إنسان إجابتها: لِمَ لا يوجد إلا حيوانًا واحدًا من هذا النوع؟ لِمَ أمتلكه أنا بالذات دون غيري؟ هل كان هناك حيوان آخر مثله من قبل؟ ماذا سيحدث إذا مات؟ هل يشعر بالوحدة؟ لِمَ ليس لديه أطفال؟ ما اسمه؟ وهكذا... عشرات من الأسئلة المشابهة. لكنني لا أتعب نفسي أبدًا بمحاولة الإجابة، بل أكتفي بعرض حيواني هذا ممتنعًا عن إعطاء تفسير.

أحيانًا يُحضر الأطفال قططًا معهم، وفي مرةٍ جاءوا بحَمَلين كذلك. لكن، وعلى عكس آمالهم، لم يحدث شيء جدير بالمشاهدة. فقط تبادلت الحيوانات النظرات، وبدا كأنها تقبَّلت وجودها كحقيقةٍ إلهية.

عندما يجلس في حجري لا يعرف حيواني خوفًا أو رغبةً في مطاردة غيره، بل يبدو أنه يكون في أسعد حالاته وهو يضغط نفسه

إليَّ مستمدًّا الدفء. هو مُخلص للعائلة التي ربَّته، وليس في هذا إخلاص خارج عن المألوف، بل مجردَّ غريزة يتمتَّع بها حيوان لا تربطه قطرة دم واحدة بأيِّ حيوانٍ آخر في العالم، وعليه صارت الرعاية التي وجدها لدينا مقدسة.

أحيانًا لا أستطيع كتم ضحكاتي وهو يتشمَّم الهواء حولي أو يلف نفسه حول قدمي ويرفض أن يتزحزح بعيدًا عني. يبدو كذلك أن عدم قناعته بكونه قطًّا وحَمَلاً معًا تجعله يصر على أن يكون كلبًا كذلك. ذات مرَّةٍ، وكما قد يحدث مع أيِّ أحد، لم أرَ وسيلة للخروج من مشاكل تجارتي وكل ما انطوت عليها، وكنت مستعدًا للتخلي عن كل شيء. في هذا المزاج السيئ كنت جالسًا في الكرسي الهزَّاز في غرفتي والحيوان جاثمٌ على ركبتيَّ، عندما نظرت إليه نظرة عابرة ووجدت الدموع تتساقط من شواربه الكبيرة.

هل كانت تلك دموعي أم دموعه؟ هل يملك هذا القط ذو روح الحَمَل طموحًا بشريًّا؟ إنني لم أرث الكثير عن أبي، لكن هذا الإرث بالذات غير تقليدي على الإطلاق.

إنه يملك ضجر كلا الحيوانين -القط والحَمَل- برغم اختلاف الصفة ذاتها في كلٍّ منهما. أحيانًا يثب ليقف على مسند الكرسي

بجانبي ويضع ساقيه الأماميتين على كتفي، ويُقرِّب وجهه من أذني كأنه يحاول أن يقول لي شيئًا، ثم إنه يدير رأسه بعدها إلى وجهي ليرى الانطباع الذي أحدثته الرسالة التي همس بها لي. وقتها أتظاهر بأنني فهمت وأهز رأسي إيجابًا، فيثب إلى الأرض ويرقص حولي في مرح.

لعل في سكين الجزَّار راحة لهذا الحيوان، لكنه إرثي ولا أستطيع أن أفعل هذا به. عليه إذن أن ينتظر إلى أن يغادر آخر أنفاسه جسده، حتى إذا كان يرمقني أحيانًا بنظراتٍ يلوح فيها الفهم، كأنه يتوسَّل لي أن أفعل الشيء الذي يُفكِّر فيه كلانا.

نُشرت في الأعمال القصيرة الكاملة

يوم جاءت الأطباق الطائرة

نيل جايمان

في ذلك اليوم هبطت الأطباق الطائرة

مئات منها؛ ذهبية صامتة هبطت من السماء كأنها رقائق ثلجٍ ضخمة

ووقف أهل الأرض وحدَّقوا فيها وهي تقترب، منتظرين بأفواهٍ جافةٍ خروج ما يقبع بداخلها، ولا أحد منا كان يعرف إن كنا سنظل هنا غداً

لكنك لم تلاحظي هذا لأن...

... في ذلك اليوم، يوم جاءت الأطباق الطائرة، فُتحت القبور لتلفظ ما بها

وانبثق الموتى من قلب الأرض ليجتاحوا الأرض بعيونٍ خاويةٍ من كلِّ تعبير، ودون أن يقوى أحد على أن يوقفهم

لكنك لم تلاحظي هذا لأن...

... في ذلك اليوم، يوم جاءت الأطباق الطائرة ويوم الموتى

الأحياء، وقعت معركة الآلهة الكبرى

وأرتنا شاشات التلفاز سفينة مصنوعة من أظفار الموتى،

وأفعى، وذئبًا

كلها أكبر مما يتصور خيال البشر

ولم يستطع المصوِّرون الابتعاد بما يكفي، ثم خرج الآلهة من السفينة

لكنك لم تري هذا لأنه...

... في يوم الأطباق الطائرة والموتى الأحياء ومعركة الآلهة، تحطَّمت السدود كلها

وأغرقَ الجن والأشباح العالم، يعرضون علينا الأماني والعجائب والأبديَّة

والسحر والذكاء والقلوب الشجاعة وقدورًا وقدورًا من الذهب

بينما انتشر العمالقة في أرجاء الأرض كلها، والنحل القتَّال

لكنك لم تملكي فكرة عن شيءٍ من هذا لأن...

... في ذلك اليوم، يوم الأطباق الطائرة، يوم الموتى الأحياء، يوم معركة الآلهة الأخيرة، ويوم الجنيَّات

يوم هبَّت الريح العظمى والجليد، يوم تحوَّلت المدائن إلى

بلور، يوم ماتت النباتات وذابت الجمادات

يوم انقلبت علينا أجهزة الكومبيوتر وقالت لنا الشاشات أن أطيعوا

يوم خرجت الملائكة تترنح من الحانات، ويوم قرعت أجراس لندن كلها

يوم خاطبتنا الحيوانات بالسريانية، يوم رأينا رجل الثلوج رأي العين

يوم حلَّق ذوو القوى الخارقة في السماء بعباءاتهم، ويوم اخترعنا آلة الزمن، لم تلاحظي أيًّا من هذه الأشياء لأنك...

... في غرفتك كنت جالسةً، لا تفعلين شيئًا، لا تقرئين

كنت فقط تتطلَّعين إلى شاشة هاتفك

تتساءلين إن كنت سأتَّصل بكِ.

نُشرَت في *Smoke and Mirrors* عام 1998

فهرس

مقدِّمة.....7

هشام فهمي

تعليمات.....9

نيل جايمان

العنقاء.....13

تشاك پالانيك

العرب وبنات آوي.....41

فرانز كافكا

العائلة النوويَّة.....48

ألكس شڤارتسمان

نحن الثلاثة.....51

دين كونتز

مذكِّرات حلاق جناب الفوهرر.....65

وودي آلن

أزاثوث.....74

هـ. پ. لاڤكرافت
صفحات من مفكِّرة.....77
نيل جايمان
المرحومة.....85
ريتشارد ماثيسون
البيت.....89
تشارلز بوكوڤسكي
السؤال الأزلي عن وجود الله.....92
ستيڤ مارتن
حُلم.....97
فرانز كافكا
كنَّاس الأحلام.....101
نيل جايمان
يسقط إبليس!.....104
كليڤ باركر
خروج.....112

تشاك پالانيك
عن تيم برتون.....138
چوني دپ
ثلاث صُوَر.....146
ڤيرچينيا وولف
سببٌ آخر لعدم احتفاظي بمسدَّس في البيت.....152
بيلي كولنز
الجسر.....154
فرانز كافكا
الانتقام أن تكتب فيلمًا عن الفتاة التي تخلَّت عنك.....156
سكوت نيوستاتر
الحُب الحقيقي.....161
ألكس شڤارتسمان
قطط صغيرة.....165
ريتشارد ماثيسون
القرد يُفكِّر، القرد يفعل (سيرة ذاتيَّة).....175

تشاك پالانيك
مقدِّمة في الشِّعر.....185
بيلي كولنز
كونت دراكيولا.....186
وودي آلن
الهجين.....194
فرانز كافكا
يوم جاءت الأطباق الطائرة.....197
نيل جايمان